
حدث بالفعل
11
على حافة ..
الهاوية
Looloo
www.dvd4arab.com
تحرير
أ/ جلال عبد الفتاح
إشراف
أ/ حمدي مصطفى

مقدمة المحرر

يتعرض هذا الكتاب للأحداث التى على وشك الوقوع . أى الحد الفاصل بين الحياة والموت ، واللحظة الحاسمة بين البقاء والفناء . لحظة قد تستغرق ثوان فاصلة أو ساعات حرجة ، ولكنها تتصف بالفزع والرعب والهلع . وتقتضى التفكير السريع والحل الفورى ، الذى يعتمد بالتالى على خبرات المرء السابقة ، ومعلوماته الصحيحة ، وثقافته العامة التى اكتسبها من قبل فى مجالات متعددة من نواحى الحياة . مع الاستخدام الجيد للإمكانيات المتاحة فى متناول يده فى ذلك الوقت .

إن كل شىء يفعله المرء ، يجب أن يدفع ثمنه . والأخطاء المشئومة فى الحياة لاترجع إلى طيش المرء وتهوره ، بل تعود إلى منطقه المعْوجّ وأسلوبه فى الحياة وتناوله للأمور . وسوف نلاحظ أنه ليس هناك شىء فى هذه الأحداث نما فى منحنيات الصدفة . بل حدث كل شىء ، نتيجة لسوء الفهم وسوء التقدير وسوء الإدراك ، وربما سوء التصرف ، وعلى هذا وضع المرء نفسه فى ظرف دقيق . وكان عليه أن يعرف من قبل ، ما هو ممكن

وما هو غير ممكن من الأعمال ، والتى قد تفوق قدراته ، وتعلو عن إمكانياته المتاحة .

والأمر الواضح إذن أن هذه الأحداث ليست من تصرفات القضاء والقدر ، التى لاحيلة لنا فيها ، ولم نتسبب فى وقوعها . حيث يُدفع المرء دفعًا إلى مثل هذه المواقف ، ويظل يعانيها دون أن يعرف لذلك سببًا . ولكنها مشكلات من فعل الشخص ذاته ، أو نتيجة لما أقدم عليه من عمل ، دون تبصرٍ بعواقب الأمور . وإن كان مدى « الورطة » التى وضع نفسه فيها ، لم تصبح بعد « مميتة » فى ذلك الوقت ، ولكنها « ورطة لزجة » بلا ريب ، لم تخطر بباله بأى حال من الأحوال . والكتاب الخامس والعشرون من هذه المجموعة « حدث بالفعل » يتعرض فقط للأحداث التى وقعت بالقضاء والقدر .

ومن الطبيعى أن يشعر المرء بالخوف ، فهذا الإحساس الداخلى ، هو إنذار مهم لنا بأن نفكر وأن نعمل وأن نتحرك بسرعة ، وذلك أبعد مايكون عن السهولة . ففى عملية تتطلب الشجاعة والقوة والمخاطرة ، لايجب أن نضيع الوقت فى التردد والجمود والتهيُّب ، بينما الإنجاز السريع هو المطلوب . لابد إذن من الإقدام والمثابرة والتمسك

بالحياة ، مما يمد المرء بالقوة اللازمة لبدء مرحلة العمل السريع نفسه . وفى تلك المواقف اللزجة ، يجب أن يترك شىء ما للفرصة أو الحظ ، نظرًا لأنها خطيرة فى طبيعتها ، واختبار . ملىء بالمتاعب .

هى إذن لحظة اختبار وابتلاء وامتحان ، لايخلو منها المرء طوال مسيرة حياته . وسر الحياة هو الألم ، إنه الشىء الذى يختفى وراء كل شىء . وحينما يكون هناك آلام وأحزان ، تكون أرض مقدسة . فقد خلق اللّه الإنسان فى كبَد (البلد ـ 4) أى فى معاناة ومشقة ، حتى يُثبت جدارته بالحياة . وقد أكد اللّه (سبحانه) فى الكثير من آيات القرآن الكريم هذه الحقيقة ، باعتبارها من أسرار الحياة وطبيعتها ، وأنه لا أمان ولا ضمان خلال مسيرة الحياة ، من دون افتتان واختبار وابتلاء (العنكبوت ـ 2) . وأشار (سبحانه) إلى أن الابتلاء بالشر أو الخير هو فتنة لنا (الأنبياء ـ 35) . وأنه (سبحانه) لم يخلقنا عبثًا (المؤمنون ـ 115) ، حتى يعلم المجاهدين منا والصابرين (محمد ـ 31) . و (سبحانه) فإنه « يعلم » كل شىء منذ الأزل ، ولكنه حجة علينا .

١ ـ على وشك الاصطدام بأجمل الآثار..

[بقلم : إيرنست جان]

خلال الحرب العالمية الثانية ، كنت على وشك أن أصبح مسئولاً عن تدمير أحد أجمل الآثار فى العالم ـ « تاج محل » Taj Mahal . ولفترة طويلة بعد ذلك ، كان الفزع ينتابنى من التفكير فى أن سلامة مثل هذا الأثر النادر ، كانت بين يدىَّ المبللتين بالعرق .

فى ذلك الوقت ، كنت تابعًا لقيادة النقل الجوى الأمريكية . وكان علىَّ الطيران فوق جبال الهيمالايا Himalaya ، حاملاً المعدات والأسلحة والذخيرة والتموين من الهند ، وإسقاطها بالباراشوت لرجال العصابات والمقاومة فى الصين والهند الصينية ، لضرب القوات اليابانية المحتلة ، ولم يكن ذلك مما كونته فى ذهنى عن فكرة الاشتراك فى الحرب ، حيث الأعلام والبيارق والأوسمة والنياشين ، وبالطبع مواجهة العدو الشرير ! ولكن حربى اليسيرة لم تكن موجهة إلى العدو الرسمى مباشرة ، ولكن ضد طائرة النقل المخيفة التى كنت أقودها ، والتى أطلق عليها الطاقم

اسم « القلعة البشعة The Gremlin's Castle » . وهى طائرة نقل ضخمة بعيدة المدى ، من طراز C-87 الأمريكية ، ذات المحركات المروحية الأربعة .

وقد تضمن هذا العمل « الممل » من أعمال النقل الجوى طوال الحرب ، الهبوط والإقلاع فى أمريكا الجنوبية وجنوب إفريقيا ، وشبه الجزيرة العربية ، والهند وغيرها من المناطق الجنوبية ، البعيدة حقيقةً عن المعارك الدائرة . وكنا نطير دائمًا على ارتفاعات عالية جدًا ، ولمسافات طويلة قد تصل إلى 9800 كيلومتر دون الهبوط لالتقاط الأنفاس والراحة ، لساعات ممتدة . وغالبًا ما كنا نجد فى انتظارنا أوامر جديدة فى المطارات المختلفة ، للتوجه إلى مهمة أخرى وتغيير مسارنا .

ومازلت أتذكر إحدى هذه الرحلات المعينة نحو الشرق من البرازيل ، حينما بدأت « القلعة البشعة » فى الاهتزاز والارتجاج ، ونحن نطير فوق جنوب المحيط الأطلنطى .

ولكن المشكلة انتهت من تلقاء ذاتها ونحن نطير فوق إفريقيا . ولكنها كانت تعود بين الحين والآخر ، كى تذكرنا بأن سبب المشكلة مازال قائمًا على ظهر الطائرة .

وبينما كنا فى الطريق إلى ميناء السلالة Salalah ـ التابع لسلطنة عُمان والذى يطل على المحيط الهندى قرب الحدود مع اليمن ـ عاد الاهتزاز مرة أخرى ، وصار أكثر ثباتًا . وقبل أن نصل إلى مطار السلالة بحوالى عشر دقائق ، ارتفع صوتٍ أجش خشن من المحرك رقم 2 ، ثم أصبح صريرًا مخيفًا مما اضطرنا إلى إيقافه . « ترقم المحركات المروحية أو النفاثة من الجانب الأيسر أو الجناح الأيسر للطائرة ، حيث يجلس كابتن الطائرة وإلى يمينه مساعده . فأبعد المحركات فى الجناح الأيسر يأخذ الرقم ١ وهكذا إلى أقصى المحركات فى الجناح الأيمن رقم 4 . وهذا الترتيب الدولى يطبق أيضًا على الطائرات ذات المحركات النفاثة الثلاثة ، وأحدها فى الذيل وهو رقم 2 . »

لم يكن فقد أحد المحركات بالشىء الخطير ، طالما أننا استهلكنا معظم الوقود ، فضلاً عن أن علينا الانحدار لأسفل تمهيدًا للهبوط . ولكن كانت هناك أشياء كثيرة مصابة بالخلل على ظهر « القلعة البشعة » . مما أفقدنى الكثير من ثقتى بطائرات النقل من طراز « سى ـ 87 » .

فعندما كنا ندور بالطائرة للاقتراب النهائى من ممر الهبوط ، تنهد مهندس الطائرة فى حسرة وسخط . فبعد

إنزال أجهزة الهبوط والعجلات ، أعلن المهندس هوجارتى Hogarty بصوت غاضب « ...... لقد التصقت العجلة الأمامية اللعينة مرة أخرى ! » وكان عليه ـ كما فعل فى مرات عديدة سابقة ـ أن يحشر نفسه فى الجزء الأمامى الضيق لمقدمة الطائرة ، بين الجهاز الهيدروليكى وأعمدة الصلب . ويقوم بإنزال العجلة الأمامية يدويًا ، بما فيها الركل الشديد ، حتى تثبت العجلة فى مكانها الصحيح .

وبينما كنت أحوم بالطائرة فى دوائر حول المطار ، وأتابع عمل المهندس هوجارتى فى قلق ، انتابنى إحساس شديد بالذنب . فكقبطان للطائرة ، كان عملى يقتضى أن أكون موجودًا حيث أجلس فى مكانى . ولكن فى داخلى لم أكن أحب أن أرى الآخرين يواجهون المخاطر ، دون أن أستطيع أن أشاركهم المجازفة . استمر ذلك لبعض الوقت ، إلى أن سمعت طرقة جهاز تثبيت العجلة الأمامية فى مكانها ، فبدأت الهبوط . وعزمت على دعوة المهندس هوجارتى إلى عشاء فاخر ، تقديرًا له على جهوده التى لا تنسى .

استغرق إصلاح منظم المحرك المتوقف طوال فترة

الصباح ، وعند الظهيرة استأنفنا الطيران إلى كراتشى Karachi ـ عاصمة باكستان ـ وفى اليوم التالى انطلقنا إلى قاعدة شابوا الجوية Chabua فى ولاية آسام Assam الهندية ، التى تقع فى أقصى غرب الهند على الحدود مع بورما والصين . وهناك كرس طاقم متخصص من الفنيين المهرة وقتهم لصيانة الطائرة ، وإصلاح العاطل من أجهزتها . وأخذوا يبذلون ما فى وسعهم طوال ساعات مرهقة ، لجعل « القلعة البشعة » قادرة على الطيران دون مشكلات متزايدة . كما تسلمنا أوامر جديدة بالعودة إلى البرازيل ، عن طريق مدينة أجرا Agra الشديدة الحرارة ، حيث تقع شمال وسط القارة الهندية .

عند الدوران للنزول والهبوط فى مطار أجرا ، أخذنا جميعًا ننظر مبهورين إلى قصرِ «تاج محل» ، وتصميمه الرائع كما يبدو من أعلى . وطبقًا لمهنتى كطيار ، لاحظت بدهشة أن ممر المطار يتجه رأسًا إلى « تاج محل » . وأعتقد ـ بحكم خبرتى ـ أن هذا تصميم خاطئ لإنشاء المطارات . ولكن مالى بهذا الأمر ، فهذا شأنهم ، ولا أرغب فى التدخل فى شئون الآخرين . وانحدرنا إلى أسفل وسط موجات من الهواء الساخن ، حيث وجهت اهتمامى كله لتأثير الحرارة على كفاءة الأجهزة المختلفة فى الطائرة . ولكنى أدركت بسرعة ، أننى أحتاج إلى ممر طويل عند الإقلاع فى هذا الجو الساخن .

كانت رحلتنا التالية فى طريق العودة إلى كراتشى ، وهو ما يستغرق بالطيران حوالى أربع ساعات فقط . ولذلك طلبت من فريق الوقود عدم ملء التانكات بالكامل ، والاكتفاء بأن يكون على ظهر الطائرة ما يكفى للطيران لمدة أربع ساعات ، بالإضافة إلى كمية احتياطية صغيرة ، وهى فى جملتها حوالى ألف جالون إنجليزى « الجالون الإنجليزى يساوى 4.546 لتر فرنسى ، والجالون الأمريكى = 3.785 لتر » ثم توجهت مع الطاقم إلى استراحة المطار ، هربًا من حرارة الجو والرطوبة الخانقة ، إلى حين إعداد الطائرة وتحميلها .

فى ذلك الوقت جرى تحميل الطائرة بقطع الغيار المختلفة التى أمكن إنقاذها من السفن الغارقة ، أو من الطائرات والدبابات المحطمة ، حيث الحاجة شديدة إلى هذه المعدات فى أماكن أخرى . بعض هذه المعدات كانت تبدو ثقيلة بوضوح ، ولكن أحدًا لا يعرف وزنها الحقيقى . وجرت العادة على تحميل أية طائرة نقل عسكرية خلال الحرب ، حتى تبدو وكأنها قد « امتلأت » تمامًا . مما يشكل خطرًا شديدًا على الطائرة والطاقم ، حيث إن لكل طائرة تصميمًا معينًا لحمولة لا تتعداها .

عُدنا إلى الطائرة حيث كان طاقم الوقود قد غادر المكان . وكنا فى عجلة من أمرنا للهروب من هذا الجحيم ، والصعود إلى طبقات الجو العليا الباردة ، برغم أنه ليس من الحكمة دائمًا التعجُّل فيما يخص شئون الطيران . وفى بداية ممر الإقلاع ، انتظرت بما يكفى حتى تصل المحركات الأربعة إلى قوتها الكاملة ، قبل أن أحرر الفرامل . وأخذت الطائرة تكافح لاكتساب السرعة ببطء ، وعندما وصلنا إلى ثلث طول ممر الاقلاع Runway ، كانت سرعة « القلعة البشعة » لم تتجاوز 90 كيلومترًا فى الساعة . وكان علىَّ فى تلك اللحظة أن أوقف اندفاع الطائرة ، طالما أنها لم تظهر أى استعداد للارتفاع بهذه السرعة المنخفضة ، وأن ماتبقى من طول الممرّ يكفى لتوقف الطائرة بأمان .

فلما وصلنا إلى منتصف الممر ، كان لدى فرصة أخيرة للاختيار ، ولكنى تركت هذه اللحظة الخاطفة تمر أيضًا . ولم يعد بعد ذلك مجال للتوقف ، خاصة وقد وصلت سرعة الطائرة إلى 162 كيلومترًا فى الساعة . كما لم يبق هناك مسافة كافية فى الممر للتوقف ، دون الاصطدام بجذوع أشجار الغابة فى نهاية الممر .

وبطريقة ما ، ارتفعنا عن الأسفلت ، وحلقنا على ارتفاع ضئيل ونحن فقط على بعد 300 متر من الأشجار .

ولم أجرؤ على الدوران درجة واحدة إلى اليمين أو اليسار ، حتى لاتفقد الطائرة أية قيمة من سرعتها . وأخذت أحدق فى أطراف الأشجار أمامى كالبساط الأخضر ، وانتظرت لحظات يائسة لسماع الأصوات الأولى للصدمات الخفيفة ، حيث كانت العجلات وأجهزة الهبوط تكشط أطراف الأشجار . ومرت لحظات أخرى مرعبة وثقيلة ، حتى انطوت العجلات وأجهزة الهبوط فى أماكنها بالأجنحة . وارتفعت آمالى حينما بدأت الطائرة منذ تلك اللحظة فى الطيران الحقيقى . وحبسنا جميعًا أنفاسنا ونحن مربوطون فى مقاعدنا ، كما لو كان هذا المجهود البشرى يساعد الطائرة على الصعود . لم نتبادل كلمة واحدة فيما بيننا ، فقط كانت هناك زمجرة ودمدمة المحركات الأربعة العالية .

ثوان بعد ذلك ، وشاهدت أمامى منظرًا أعتقد أنه انطبع فى ذاكرتى إلى الأبد . كان أمامى مباشرة قصر « تاج محل » وكنا نحلق فى اتجاهه تمامًا ، أقل من مستوى ارتفاع قبته اللامعة ، وكان من الواضح أننا فى الطريق سريعًا للاصطدام بها .

خلفنا الأشجار وراءنا ، ثم اخترقنا غلالة الهواء الساخن فوق نهر جومنا . ولم أستطع أن أفهم حتى هذه

لم تستطع طائرة النقل العسكرية الضخمة الارتفاع إلى أعلى لزيادة الحمولة ، وكادت أن تصطدم بقصر ، تاج محل ، فور إقلاعها من مطار أجرا .

اللحظة ، الأسباب التى تمنع «القلعة البشعة» عن الطيران . وعبرنا النهر ، ولكن مازال خط طيران الطائرة أقل من مستوى ارتفاع القصر . ولقد ظهر جليًا أن جناحنا الأيسر لن يصطدم بالمبنى الرئيسى ، ولكنه بالتأكيد سوف يقطع إحدى المآذن Minaret . ومن ناحية أخرى فإن أى دوران أو انحراف مفاجئ بالطائرة ، فى أثناء صعودها لأعلى فى تلك اللحظة ، يعنى انهيارًا سريعًا للسرعة وارتطامًا مميتًا .

وبيأس ، اتخذت قرارًا خلال الثوانى القليلة الباقية . وأشك أن أحدًا حاول تنفيذه فى طائرة نقل ضخمة من طراز سى ـ 87 فى أثناء الإقلاع ، خاصة وهى تحلق على مسافة قريبة من الأرض . وكنت أعرف أن السرعة حيوية بالنسبة لنا ، وبدونها سوف نسقط . كما لايمكننا الانحدار إلى أسفل لاكتساب المزيد من السرعة طبقًا لكثافة الهواء الملاصقة لسطح الأرض . كما أن المحركات تبذل بالفعل أقصى ما فى طاقتها . كما كنت أعرف تمامًا أن العمل الذى أقصده ، سوف يؤدى بلاشك إلى خفض سرعتنا .

ارتفع صوتى فوق زمجرة المحركات « هوجارتى ، أعطنى قلابات كاملة ! » وأطاع المهندس بيتر هوجارتى الأمر فى الحال . وكانت النتيجة مما تنخلع معه القلوب ، وأقرب إلى التأثير الذى يصوره مشهد القصر أمامنا ونحن نسرع للاصطدام به . ارتجت الطائرة واهتزت بعنف ، عندما انخفضت قلابات Flaps الجناحين إلى أسفل ، كما لو كانت قد انهرست فى جدار مُصمت غير مرئى . ولم يكن لدى وقت للتفاعل مع الأحداث ، عندما ارتفعت مُقدمة الطائرة إلى أعلى . لقد ارتفعنا باستقامة إلى أعلى ، كما لو كنا فى مصعد سريع Elevator .

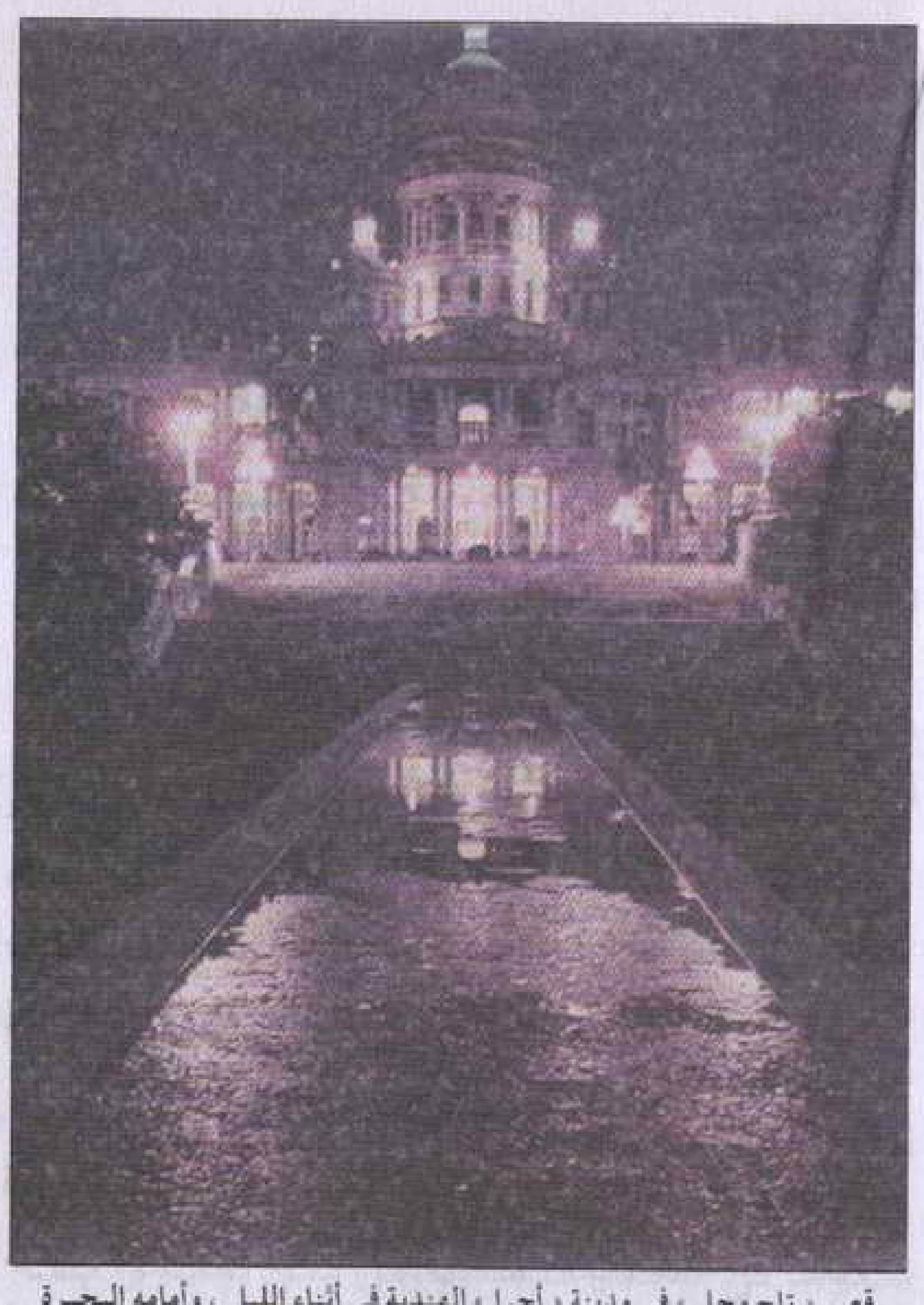
وكان يمكننا أن نرى أعمال الصيانة التى تجرى لقصر « تاج محل » وسقالات البناء Scaffolding المصنوعة من خيزران البامبو الهندى Bamboo . كما كان فى مقدورنا مشاهدة العيون المندهشة للعمال ، وأسنانهم البيضاء من أفواههم المفتوحة وقد رفعوا أيديهم فى تعجب ، والوحش يزأر عاليًا على بعد أمتار قليلة من رءوسهم .

كنا قد عبرنا المشكلة بصعوبة ، حينما توقفت الطائرة عن الصعود بقوتها ، مع انخفاض واضح فى سرعتها ، وأصبحنا على حافة الانهيار النهائى Final Stall . حين

وجهت مقدمة الطائرة إلى أسفل مرة أخرى فى المساحة التى تلى القصر مباشرة ، حيث كانت أرضًا قاحلة منبسطة لمدى البصر ، حتى يمكن للطائرة أن تكتسب قوة للرفع من الهواء الساخن الملاصق لسطح الأرض . وكنت قد طلبت من المهندس هوجارتى رفع القلابات إلى أعلى ، درجة درجة على مراحل قليلة .

وتدريجيًا بدأت « القلعة البشعة » تكتسب القدرة على الطيران ، حيث كان همى اغراؤها على الصعود الأصلى . وكان ذلك أشبه بمحاولة دفع شخص « مخمور » إلى تسلق الدرجات التى سقط منها . وعندما علونا إلى ارتفاع 300 متر ، وجهت الطائرة نحو الشمال الغربى إلى كراتشى .

عند وصولنا هناك ، اكتشفت السبب لتصرف الطائرة غير العادى . فقد كان من مميزات هذا الطراز من الطائرات ، هو سوء عدادت خزانات الوقود ، التى لايمكن الاعتماد عليها . كما أن طاقم الوقود فى مطار أجرا أساء فهم طلبى ، ولم أشرف على ذلك بنفسى ، أو أحد أفراد طاقم الطائرة . فقد أضافوا ألف جالون إنجليزى ، إلى الوقود


قصر « تاج محل » فى مدينة « أجرا » الهندية فى أثناء الليل ، وأمامه البحيرة الصناعية والحديقة الواسعة . حيث يعد مزارا سياحيًا على مدار العام .

الذى كان موجودًا بالفعل فى خزانات الطائرة . كما أن حمولة الطائرة من قطع الغيار - التى لايعرف وزنها - كانت فوق طاقة الطائرة بالفعل . وهذه الحماقات المركبة ، من الحمولة الزائدة وثلاثة أطنان من الوقود الإضافى ، يعد من أسوأ الانتهاكات الفردية ، التى كادت تؤدى إلى كارثة حقيقية خلال الحرب العالمية الثانية .

وبكيفية ما ، وصلنا إلى البرازيل ، حيث احتجزت فى مستشفى ميناء ناتال Natal فى شمال شرق البرازيل ، لإصابتى بالملاريا . وخلال الحمى التى لازمتنى لفترة ، كان كابوس أجرا يطوف بخيالى طوال الوقت . وقد لازمنى هذا الإحساس لسنوات طويلة بعد ذلك .

* * *

يعد قصر « تاج محل » Taj Mahal ، من أجمل الآثار العالمية الذى بنى لإعلاء قيمة الوفاء والحب الأسرى . ويقع هذا القصر - أو القبر - على الضفة الغربية لنهر جومنا ، فى مدينة أجرا Agra على بعد حوالى 180 كيلومترًا جنوب شرق العاصمة الهندية نيودلهى New Delhi . وقد عمل فى بنائه 20 ألف شخص لمدة 22 سنة متواصلة

لإتمامه ، حيث يرتفع إلى 41.8 متر . وله أربعة مآذن عالية فى أركانه الأربعة . وفى الجانب الأيسر منه مسجد يفتتح كل يوم جمعه لأداء الصلاة . كما تمتد أمامه بحيرة صناعية مستطيلة ، تحيطها حديقة واسعة . ويعنى الاسم « تاج القصور » ، إذ بنى من الرخام الأبيض الفاخر والأحجار نصف الكريمة ، ومطعم من الداخل بالآيات القرآنية الكريمة .

وقد بناه الإمبراطور شاه جاهان Shah Jahan ، من أسرة « أكبر » المغولية Mogul ، التى حكمت شمال غرب الهند وهندوستان منذ عام 1550 ميلادية ، وذلك عندما توفيت زوجته الثالثة ـ الأثيرة إلى قلبه ـ الملكة ممتاز محل Mumtaz Mahal عام 1631 ميلادية ، عن 38 سنة فى أثناء ولادتها . ويعنى أسمها « سيدة القصر » .

ولدت الملكة ممتاز محل عام 1593 فى إيران ، حيث أنها ابنة نبيل فارسى . وكان اسمها الأصلى أرجوماند Arjumand ، عندما خطبت ـ وعمرها 15 سنة ـ إلى الأمير خورام Khurram المغولى . ثم تزوجت منه بعد حوالى خمس سنوات من ذلك فى حفل كبير فى 20 مايو 1612 . وأنجبت منه 14 ابنًا ، مات منهم سبعة .

عندما مات الإمبراطور جاهانجير ، نودى بابنه الثالث من زوجته الثانية ، الأمير خورام إمبراطورًا . وتولى العرش عام 1628 ، وأصبح اسمه شاه جاهان . حيث حكم لمدة 31 سنة ـ وحتى عام 1659 ـ من الاستقرار والسلام والتنمية وبناء القصور الفاخرة فى العاصمة دلهى . وعندما توفيت زوجته الملكة ممتاز محل عام 1631 ، اعتزل الحياة العامة واعتكف فى قصره . وأمر فى العام التالى مباشرة ببناء قصر عظيم فى مدينة أجرا ليضم جثمانها . وكان ينوى بعد ذلك إنشاء قصر مماثل من الرخام الأسود على الضفة الشرقية لنهر جومنا ، بنفس التصميم ليكون قبرًا له . ويربط بين القصرين كوبرى فوق النهر .

ولكن حدث تنافس شديد على العرش بين أبنائه ، حيث استطاع ابنه الثالث أورانجيب Aurangzep الاستيلاء على العرش عام 1659 . فنفى والده إلى قلعة أجرا التى تبعد حوالى كيلومترين عن تاج محل . وبعد أن عاش 35 سنة بعد وفاة زوجته الملكة ممتازة محل ، منهما سبع سنوات فى المعتقل حيث لم يكن يعنى به سوى ابنته جاهانارا Jahanara ، مات فى يناير 1666 عن 79 سنة . ودفن بجوار قبر زوجته ، تحت قبة القصر الرئيسية .

وهناك قبران متجاوران يحوطهما سياج من الخشب المشغول مثمن الأضلاع . لكن القبر الحقيقى تحت الأرض ـ طبقًا للشريعة الإسلامية ـ وينزل إليه بدرجات جانبية خاصة .

وقد انتهى حكم المغول فى الهند عند الإطاحة بالابن العاق أورانجيب عام 1707 . وسقطت الهند تحت النفوذ البرتغالى والأسبانى والهولندى والفرنسى ثم البريطانى ، حتى الاستقلال فى 15 أغسطس 1947 . حيث انقسمت البلاد إلى دولتين : باكستان الإسلامية ـ 119 مليون نسمة ، والهند 890 مليون نسمة ، أغلبهم من الهندوس Hindus ، مع أقليات من المسلمين والمسيحيين والجانتس Jains والسيخ Sikhs .

* * *

والأثر الذى يليه فى الإبداع ـ ضمن هذا المقام ـ والذى بنى لإعلاء قيمة الوفاء والحب الصادق ، هو « ينبوع الدموع » فى مدينة باخشسراى Bakhchisaray جنوب جمهورية أوكرانيا ، فى شبه جزيرة كرايما Crimea ، شمال شرق ميناء سفاستوبول Sevastopol المطل على البحر

الأسود . وقد كانت هذه المدينة عاصمة قديمة لخانات أو الحكام التتار Tartar Khan فى ذلك الوقت . وينتج الينبوع قطرة واحدة من الماء كل دقيقة ، حيث أقيم عام 1645 ميلادية حزنًا على موت الأميرة البولندية الأسيرة ماريا Maria ، من قبل خاطفها الأمير التتارى خان جراى . حيث يعد من أجمل وأرق الآثار التى أقيمت لذكرى الحب الصادق والوفاء الخالص حتى الآن .

وقد خلد الروائى الروسى ، ألكسندر بوشكين قصة هذا الوفاء فى رواية له عام 1825 . وكذلك المؤلف الموسيقى بيتر تشايكوفسكى Tchaikovsky ، فى سيمفونية بنفس الاسم 1865 « ينبوع باخشيسراى » .

وتقول قصة بوشكين ، إن الخان جراى استطاع خطف الأميرة ماريا ، فى أثناء حفل زواجها إلى الأمير البولندى باسلاف ، وقتل جميع الموجودين . وأحبها الأمير جراى بصدق وأراد أن يتزوجها . برغم أنه متزوج من تناريا الزوجة الأولى ، وزاريما الزوجة الثانية . ولكن ماريا رفضت تمامًا ، وانطوت على نفسها داخل القصر . وتملكت الغيرة

زاريما ، فقتلت ماريا بالخنجر فى جناحها بالقصر . أمر الخان جراى كبير الحراس « نور على » بقتل زاريما ، بقذفها من أعلى برج القصر . كما أمر ببناء هذا الينبوع النادر ، الذى لم يعرف سره أحد حتى الآن .



بتصرف مختصر عن كتاب :

A Hostage To Fortune, by Ernest Gann, published by Alfred Knopf, Inc. 1979. 201 East 50 Street, New york, N.y. 10022, U.S.A.

٢ ـ مواجهة الموت مع التمساح ..

[بقلم : هيو إدواردز]

كانت الدكتوره فايرا بلومفيلد Vaira Bloomfield تعمل كأستاذة لفلسفة البيئة فى جامعة ماكوارى Macquarie فى المدينة الأوسترالية سيدنى . وكان من عاداتها السير على الأقدام والقيام برحلات داخل الغابات ، حيث يمكنها تأمل البيئة الطبيعية على نحو أكثر عمقًا وتأثيرًا ، والاستمتاع برائحة الأشجار والزهور البرية ، ومراقبة الطيور فى موطنها الأصلى .

فى 18 فبراير 1985 سافرت الدكتورة فايرا ـ 43 سنة ـ نحو الشمال فى إقليم كوينزلاند Queensland الذى يضم حوالى ثلث أنواع الطيور فى أوستراليا . وكان هدفها دراسة الطيور المائية فى بيئتها الطبيعية فى غابة كاكادو القومية Kakado National Park . وعند وصولها إلى هناك ، أمكنها تدبير إقامتها فى عربة مجهزة ، تابعة لقاعدة الكشافة Scout فى المنطقة ، على ضفاف نهر إيست أليفيتور East Alleviator .

تدبرت الدكتورة فايرا ، أمر إقامتها فى سيارة مجهزة تابعة للقاعدة الكشفية ، على ضفاف النهر ، داخل غابة كاكادو القومية .

أتاح لها قائد القاعدة الكشفية جريجورى ميلز Gregory Milles أمكانية استعارة زورقه الصغير ، المصنوع من الألياف الزجاجية Fiber Glass ، والذى يبلغ طوله سبعة أمتار ونصف المتر . حيث يتيح لها التجول فى الأراضى اللينة الغارقة بالمياه Quagmire ، والتى لايمكن بلوغها سيرًا على الأقدام . وقال لها ميلز ـ وهو صديق قديم ـ إنها ستكون بمأمن ، طالما تجنبت المجرى الرئيسى للنهر وتياره القوى .

كان اليوم التالى لوصولها ملبدًا بالغيوم ، وهطلت الأمطار الخفيفةَ طوال الصباح ، وتوقفت قبيل الظهيرة . مما شجع فايرا على التوجه إلى مرسى الزورق قرب المعسكر الكشفى ، والقيام بنزهة لاستطلاع الغابات والأشجار فى منطقة المستنقعات الوحلية Morass ، والتى تعتبر موطنا للطيور المائية . وأخذت تجدف بحذر عكس مجرى النهر ، فى المناطق الراكدة على جانبه . وسرعان ما شعرت بالقلق ، كأن شيئًا مجهولاً يتهددها . وبعد فترة أخذت الأمطار تسقط بغزارة غير متوقعة ، وبدأت الرياح تتحرك بسرعة ، مما دعاها للعودة إلى مرسى القاعدة الكشفية وقد ابتلت ثيابها .



كان التمساح يراقب ضحيته الذكورة طوال الوقت ، عندما تقدمت بقاربها داخل المستنقعات . ثم أخذ يضرب القارب وانقض عليها .

كانت فايرا تضطر للتوقف عن التجديف بين الحين والحين ، حتى يمكنها نزح المياه من قاع الزورق . ولفت نظرها عند منعطف ، قطعة خشبية سميكة عائمة مع التيار ، لم تكن شاهدتها عند تقدمها فى المنطقة . واكتشفت بسرعة أن « للقطعة الخشبية » عينين صفراوين على الجانبين . إنها إذن فى مواجهة تمساح Crocodile استوائى ضخم ، وربما كان يراقبها منذ فترة وهى تجدف عكس النهر ، وسبب لها ذلك الشعور الخفى بالقلق .

أخذت تجدف بعيدًا عن التمساح ، ولكنها لاحظت أن التمساح يقترب من الزورق ، دون أن يبدى حركة واحدة . فقالت لنفسها : إن التيار الجانبى سوف يحمل الزورق فى اتجاه القاعدة الكشفية ، ولم تفكر على الإطلاق بأن التمساح يعمل بدهاء على اعتراض طريق الزورق ، وفجأة جاءت ضربة هائلة فى جانب الزورق ، فتجمدت فى مكانها ، وتشبثت يداها بجانبى الزورق ، وهى تفكر بذهول ، فالمعروف أن التماسيح لاتهاجم القوارب ، ولكن ما يحدث لها حقيقة واقعة تحدث بالفعل .

كان على فايرا أن تتخذ قرارًا سريعًا ، فعلى يمينها ضفة رملية يجب أن تقطعها وقد يمكن للتمساح أن يطاردها فيها . وإلى يسارها ضفة موحلة ذات انحدار لبضعة أمتار ، وبها بعض الأشجار الضخمة والشجيرات

الصغيرة المنخفضة والحشائش والآجام الخضراء الملتفة مما يصلح للهروب والاختباء . وأخذت فايرا تجدف نحو الضفة اليسرى الموحلة بينما ظل التمساح يضرب جانب الزورق بذيله القوى . وحاولت فايرا ألا تدع مجالاً للرعب أو الهلع أن يسيطر عليها ، برغم أن التمساح كان يسبح طوال الوقت بجانب الزورق ، وعيناه تحدقان إليها .

عندما وصل الزورق إلى الضفة الموحلة ، وقفت فايرا فى وسط الزورق وهى تصرخ فى وجه التمساح وتلوح بيديها أن يبتعد عن المكان ، فظل يحدق إليها بعينين لاتطرفان . كانت فايرا تشعر بالخوف والدهشة ، وتبحث فى ذهنها عن طريقة لإبعاد هذا الوحش ، حينما لاحظت أن التمساح قد وقف على الضفة ، وشد عضلاته ، وحدب ظهره استعدادًا للهجوم .

قفزت فايرا إلى أقرب شجرة ، وأمسكت بفرع متدلٍ ، وقبل أن تتمكن من الصعود إلى أعلى ، خرج التمساح بسرعة هائلة من الماء وانقض عليها كالبرق وأمسكها من ساقيها ، ثم أطبق فكيه على حوضها كآلة حادة ، وجذبها التمساح عن الشجرة ، وهى عاجزة عن دفعه .

ثم سحبها إلى الماء ، وأخذ يدور بها تحت الماء كما تفعل التماسيح لإنهاك ضحاياها وقتلها بسرعة . ولم يكن هناك ألم ، وإنما رعب حقيقى .

بعد لحظات توقف التمساح عن الدوران ، وأخذ يجذبها إلى عمق النهر لإغراقها . ولكن فايرا أدركت بذهول أن رأسها لا يزال فوق سطح الماء حيث يمكنها التنفس . وشاهدت فى متناول يدها فرعًا من شجيرة قريبة ، فأمسكت به بقوة لا تتوفر إلا لشخص على وشك الغرق . ويبدو أن الارتباك أصاب التمساح لكون فريسته لا تزال تقاوم ، فاطلقها . وفور انفتاح الفكين اندفعت فايرا نحو الفرع ، واختبأت وراء الشجيرة الصغيرة . ثم كررت خطأها الأول وأخذت فى الصعود إلى شجرة قريبة .

ومرة أخرى قفز التمساح من الماء بسرعة مذهلة ، وأطبق أسنانه الحادة على فخذها الأيسر . وأخذ يدحرجها ويدور بها نحو الماء ، وهو يزوم بصوت مكتوم من الغيظ والإصرار . مدت فايرا أصابعها بحثًا عن عينى التمساح ، وغرزت أصابعها فى تجويفين ، أدركت بعدها أنهما منخارا التمساح . ولمست ذراعها غصن الشجرة ، فتعلقت به بكل ما تبقى لها من قوة ، مما أثار ذهول التمساح فاطلقها ثانية ، كى يمهد للفتك بها .

انتهزت فايرا الفرصة ، فدفعت بنفسها فى اتجاه
من الشجيرة ، ثم اختبأت خلفها . وتفادت هذه المرة
اولة الصعود إلى شجرة عالية ، واتجهت إلى الضفة
نحدرة . ولكنها انزلقت مرتين بسبب الأوحال ، وفى
رة الثالثة غرزت أصابعها فى الطين وأخذت ترتقى
ضفة اللزجة . ولم يكن لديها فكرة عن مكان التمساح ،
ل استمر فى تعقبها ، أم ظل فى الماء ؟ ولم تجرؤ
ى التطلع خلفها ، وقد شعرت بفرحة غامرة ، بعد
أفلتت من فكى التمساح بمعجزة .

وكان على فايرا أن تعود إلى المعسكر الكشفى بدون
رق . ولابد لها أن تعبر الغابة وتخوض فى
ستنقعات ، وتتخطى بعض خلجان النهر على قدميها ،
غم أن المياه أصبحت موضع رعب لها . كانت تعانى
ا شديدًا ، وأدركت سوء إصابتها ، فاستعملت قميصها
مادة لجروحها وضاغط للشرايين . فقد شقت أنياب
ساح عضلات فخذها الأيسر والأعصاب الممتدة ،
ن دون قطع شريان الفخذ الرئيسى .

انطلقت فايرا بين الأشجار ، وهى أكثر تصميمًا على

التمسك بالحياة . وساعدتها تمارين السير السابقة
على تلمس طريقها فى ثبات . وهطلت الأمطار بغزارة
فأزالت الدماء عنها ، وكانت تشعر بالبرد والغثيان
وترتعد من الرعب والصدمة ، برغم أن درجة الحرا
قد بلغت 30 درجة مئوية . وخشيت أن يدركها الموت
تلك المستنقعات دون أن يدرى بها أحد . وكان م
الواضح لها أنها لن تتمكن من العودة إلى القاع
الكشفية حيث انها تقع على الضفة الأخرى من النهر
ولكنها كلما اقتربت من الجانب المقابل للمعسكر
ازدادت فرصتها فى العثور عليها وإنقاذها .

كانت فايرا تعانى ألمًا شديدًا فى ساقها اليسرى
وبرغم ذلك تمكنت من عبور جدولين فى طريقها بالتمس
بالحشائش والأغصان المدلاة على الجانبين ، وبد
الشمس فى المغيب ، فازداد شعورها بالخوف ، خاص
وأنها أصبحت على حافة الانهيار وربما الإغم
وبلغت حافة المستنقع ، ومازالت هناك مساحة واس
من الماء بعرض المستنقع والنهر ، تفصلها عن القا
الكشفية . ولم يكن فى استطاعتها الذهاب إلى أبعد م
ذلك ، فجلست فى مكانها تفكر فيما آلت إليه ، على أ
أن تكون هناك فرصة للنجاة .

لاحظ جريجورى ميلز ـ قائد معسكر الكشافة ـ أنه لاضوء هناك فى سيارة إقامة الدكتورة فايرا ، حينما حل الظلام . ولم يكن هناك رد حينما طرق الباب ، فتملكه القلق ، وأخذ يفكر فى المكان الذى ربما توجهت إليه . ولما تفقد المرسى على الشاطئ ، لم يجد الزورق وقد تجاوزت الساعة الثامنة مساءً ، وكان عليها أن تعود قبل ساعات . وظن ميلز أنه سمع صوتًا غير واضح ، أشبه بالصراخ البشرى ، فأخذ يصغى متلفتًا . حتى سمع الصوت مرة أخرى من مكان بعيد ، وبدا له بوضوح أنه صوت الدكتورة « النجدة .. النجدة » . فنادى بأعلى صوته « .. إننا قادمون إليك ! » ثم استدعى على الفور فرقة الإنقاذ فى المعسكر .

توقعت فايرا أن تفقد وعيها مرات ، وقد أصابها الكثير من الوهن . وأخذت تهذى من الحمى ، وقد سيطر عليها الاعتقاد بأن التمساح مازال فى مكان ما حولها وقريبًا منها . وسمعت قطيعًا من الكلاب البرية الشرسة وهى تعوى فى الغابة وراءها ، فارتجفت من الرعب . فهذه الكلاب البرية ـ التى تعرف فى أوستراليا باسم دينجو Dingo ـ تهجم مرة واحدة على فريستها فى مجموعات من كل ناحية ، وتمزقها تمامًا فى لحظات . وشاهدت على الضفة الأخرى

أضواءً كثيرة ، وسمعت أصواتًا بعيدة ، من بينها صوت محرك ، فأخذت تصرخ عبر الماء طالبة النجدة . كان الأمل يتأرجح فى داخلها بين اليأس والرجاء ، ولم يعد فى امكانها أن تفرق بين الخيال والواقع ، خاصة وأن الحشرات الليلية بدأت تهاجمها فى أسراب ، وتشبعها قرصًا ولدغًا وتشويهًا .

بحث رجال فرقة الإنقاذ عن الدكتورة فى المياه الضحلة ، والجداول والأخوار الداخلية المتفرعة من النهر . ثم اتجهوا إلى المستنقعات الوحلية ، حيث سلطوا أضواء كشافاتهم على جذوع الأشجار ، ثم الدكتورة الجريحة ، حيث صدموا حينما شاهدوا جراحها الخطيرة .

ظلت فايرا شهرًا كاملاً فى المستشفى تحت العناية المركزة ، حيث أصيبت بالتهاب بكتيرى من أوحال المستنقع وأسنان التمساح . مع تمزقات شديدة فى عضلات الفخذ الأيسر . ثم نقلت بعد ذلك إلى مستشفى متخصص فى سيدنى لإجراء المزيد من الجراحات وترقيع الجلد . وبعد فترة أخرى شفيت كل الإصابات ، فيما عدا بعض الندوب الغائرة وآلام فى الساق اليسرى . وتقول

الدكتورة فى ذلك : « إننى أستعيد مرارًا ما ق
التمساح ، وأعتقد إننى كنت متماسكة فى أثنا
ولكن علينا ألا نخاف من مواجهة الذكريات
وكان الأمر كله مجرد خطأ منى ، فقد كنت
المنطقة التى يعيش فيها التمساح فى بيئته
ولم أتخذ الاحتياطات اللازمة فى ذلك ! »



بتصرف مختصر عن كتاب :

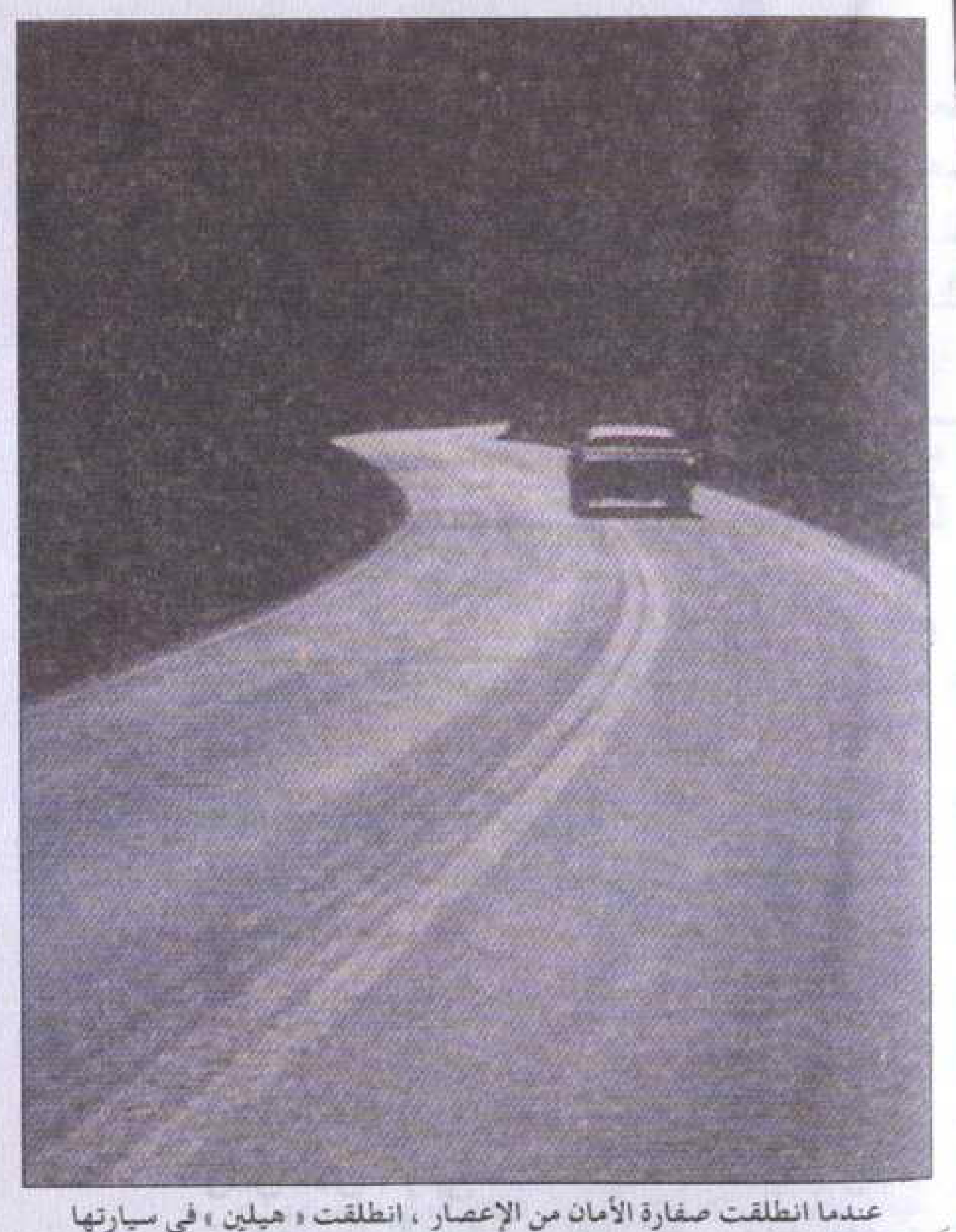
e Attack, By Hugh Edwards, 1989. Published by
nd Row Publishers, Inc. New york, N.y. U.S.A.

ى أدع أمى تواجه الغرق ..

[بقلم : آلن رانكين]

هيلين بريان Helen Bryan ، من سرعة سيارتها
حدّ. فقد كانت لاتكاد ترى لخمسة أمتار أمامها خلال
الغزيرة ، وقعقعة قطع البَرَدْ Hail الساقطة على
الأمامى «من الماء المتجمد» . وعادة ، فان السيدة
تستمتع بقيادة سيارتها ، لتوصيل ابنها رالف بريان
Ral ـ الذى تكنله بإسم رودى Rowdy ـ من مزرعتهم
شمال غرب مدينة لوبوك Lubbock ، فى أقصى
ولاية تكساس Texas الأمريكية إلى مدرسته ،
إلى فريق كرة القدم فى المدينة القريبة .

ليل يوم العاشر من يونيو 1980 ، كان يحمل
من المتاعب . فلقد ألغيت المباراة التى كان رودى
فيها ، لسوء الأحوال الجوية . حيث ظهرت السحب
فى الأفق ، وهبت الرياح بشدة ، مما اضطرهما للجوء
ريا فى المدينة . ولم ينطلق صوت صفارة الأمان من
Tornado إلا حوالى العاشرة مساءً . وبعد نصف



عندما انطلقت صفارة الأمان من الإعصار ، انطلقت « هيلين » في سيارتها « السيدان » مع ابنها نحو مزرعتهما قبل منتصف الليل بقليل .

ساعة أخرى من الانتظار للتأكد من صفاء الجو ، انطلقت هيلين بسيارتها ، مصطحبة ابنها رودى إلى مزرعتهما .

عند اقترابهما من جدول صغير Creek يقطع طريقهما المنخفض عبر المراعى ، غاصت السيارة فجأة فى مياه عميقة جارية ، كالسيل المندفع . ولم تستطع هيلين التوقف ، أو العودة إلى الوراء . كان الماء يرتفع بسرعة حول السيارة ومع ذلك فقد تركتها تغوص فى السيل العارم Flash Flood نحو الجسر المرتفع أمامهما مباشرة . وكان الكوبرى يمتد فوق الجدول بطول أربعة أمتار ، ولو أمكنهم الوصول إليه ، فسوف يكونان بمأمن بالتأكيد .

وخفق قلب هيلين بشدة ، حينما بدأت السيارة تغوص بعمق فى الماء . لابد أن هناك شيئًا ما خطأ فى هذا كله . فمن المفترض أن يخرجا من السيل ، لا أن ينغمرا فيه . وتذكرت هيلين أن ابنها رودى لايعرف السباحة حقيقة . وأنها فقط علمته كيف يجدف بيديه ورجليه فى حوض الماء الخاص بالخيول بالمزرعة ـ كما تفعل الكلاب فى الماء ـ وبما يكفى كى يحصل على شعار الدب Bear Emblem ، كى يضعه على زى الكشافة الخاص به .

كان رودى ، يجلس خائفًا متكومًا فى المقعد
من السيارة السيدان Sedan ذات الأبواب الأربعة
يشعر بالاكتئاب لشعوره بالعجز الكامل عن تقد
مساعدة لوالدته . ومن المفارقات أن والده فـ
الصباح قال له قبل أن يسافر إلى مدينة ويشيتا
فى ولاية كانساس Kansas ، وهو يربت على
الكتف : « تذكر يا بنى ، أنك رجل البيت فى غ
وعليك أن ترعى والدتك تمامًا ! » .

والحق أن رودى يفعل ذلك تمامًا ، برغم أن
لا يتجاوز عشر سنوات . فعندما كان والده يغي
المزرعة لشراء الأطعمة ، أو لتدبير أعماله فى بيع
سيارات نصف النقل ، والتى تدعم دخل المزرعة
الصبى يساعد والدته فى إدارة شئون المزرعة ال
مساحتها ألف آكر Acre – الفدان المصرى يساو
آكر . ويعنى بقطعان الماشية والخيول فى المزر
يبلغ عددها حوالى 200 . حتى عندما أجرت والدته
كبرى ، كان يقوم بالعمل وحده ، بما فيه شئون ال
ولكن الآن ، وفى هذه الليلة القاسية ، والمياه ال
ترتفع حول السيارة ، فقد شعر رودى بقصوره
وعجزه عن تقديم أية مساعدة .

سيارة حينئذ قد وصلت إلى منتصف الجسر Bridge ،
يكونان فى أمان . فمن خلال سلسلة من خفقات
طعة ، أمكن لهيلين أن ترى بوضوح أن الجدول
د أصبح عرضه الآن يمتد إلى 200 متر من السيول
وقد أخذت المياه تتدفع من فوق الجسر نفسه .

هيلين تدعو الله بحرارة كى يساعدهما .
الذراع الأوتوماتيكى إلى السرعة البطيئة ،
على بدال البنزين ، ولكن المحرك اهتز قليلاً ثم
مًا . ولم تفلح المحاولات لتشغيله مرة أخرى .
وصلت إلى الدائرة الكهربائية وأفسدتها .

ـاك وقت كاف للتفكير فيما إذا كان الغرق
ارة ، أفضل من خارجها . فقد سارعت هيلين
ن السيارة مع ابنها ، ولكن الأبواب لم تفتح
ط الماء عليها من الخارج . وقفز رودى إلى
امى ، ثم أنزلا زجاج النوافذ الجانبية ، مما
ق المياه داخل السيارة ، وعادل الضغط
المياه . ثم استطاع رودى فتح الباب بسهولة .
ا من السيارة بحذر .

وقفت الأم وابنها فى حماية جسم السيارة من السيل المندفع ، خاصة عند طرفيها . وكانت المياه تندفع فوق الكوبرى فى زئير يصم الآذان ، بينما كانا لدهشتهما فى مياه أكثر هدوءًا خلف السيارة . كانت المياه قد وصلت إلى خصر هيلين ، بينما كانت قد غطت صدر رودى . وقد تماسكا ببعضهما بقوة فوق الكوبرى ، بينما أخذت المياه فى الارتفاع . وقالت هيلين بقلق : « علينا أن نخوض فى الماء عبر الكوبرى وحتى الشاطئ » .

ولكن عندما بدآ فى التحرك بعيدًا عن مأواهما خلف السيارة ، جرفهما التيار بسرعة وأخذ يدفعهما بعيدًا مع اندفاع المياه من فوق الجسر . وعثرت اليد اليمنى لهيلين على رودى فى الظلام ، فلفتها حول خصره . وبعد لحظات اصطدما بالجزء العلوى من سور من الأسلاك الشائكة Barbed - Wire . فأمسكا به بقوة ، حيث تقوس جسماهما فى اتجاه التيار . وتمزقت الأنسجة حتى العظام فى اليد اليسرى لهيلين .

ولكن بطريقة ما ، تمسكت هيلين بالسور الشائك الذى يبدو مستقرًا ومتينًا . وأمرت ابنها أن يلف ذراعيه ورجليه حول السلك والعمود . ثم وقفت خلفه تحميه بجسدها ، وقد أمسكت بيديها سلك السور Fence على جانبى العمود .

مر وقت طويل ، وازداد جريان المياه فى دوامات هائلة حولهما . وزاد الطين بلة ، أن كان ذلك مصحوبًا بسقوط حبيبات صغيرة من الثلج أو البَرَدْ Hail ، مع انخفاض شديد فى درجة الحرارة . وفى وقت ما بعد منتصف الليل ، شعرت هيلين بالإرهاق الشديد ، وهبوط قدرتها على المقاومة والتماسك من الصدمة والبرد المتزايد . وفجأة لفت انتباهها أضواء سيارة قادمة على الطريق . فقالت لرودى المتكوم بين ذراعيها على عمود السلك الشائك : « انظر ! ، إنها أضواء قادمة على الطريق ! »

كان جارهم ديك راتجين Dick Ratjen ، عائدًا من ولاية نيو مكسيكو New Mexico المجاورة ، بشاحنته الضخمة التى تسحب مقطورة طويلة Trailer خلفها ، محملة بالخيول . وقد لاحظ ديك وجود السيارة السيدان الفضية المغمورة فى المياه . وعرف أنها لجارته هيلين ، وعبرت الشاحنة والمقطورة بصعوبة فوق الكوبرى ، وعلى مسافة قليلة من مكان الأم وابنها . اللذين أخذا يصرخان للنجدة بأعلى صوتيهما ، ولكن ديك لم يسمعهما . ولما اختفت الأضواء الخلفية للمقطورة ، شعرا بخيبة أمل عارمة لم يشعرا بها من قبل .

فور وصول الجار ديك راتجين إلى مزرعته ، اتصل فى
حال بمكتب (البوليس) فى الإقليم . وتوجه نائب المأمور
رك ويليامز Kirk Willams ، إلى الجسر ، ولكنه لم يجد
حدًا داخل السيارة الغارقة . وقرر الانتظار حتى الصباح
زيد من البحث .

فى تلك الأثناء كانت الضحيتان قد تحركتان بعيدًا عن
جسر . فقد لاحظت هيلين أن المياه أخذه فى الارتفاع
ى الجدول ، وأنها سوف تغرق العمود والسلك الشائك
ذين يتعلقان بهما . وصاحت هيلين « علينا أن ننتقل من
كاننا » . وأخذت تساعد رودى ، وهما متعلقان بالسلك
سافة 70 مترًا للوصول إلى مياه ضحلة .

لاحظت هيلين وجود عمود تليفون على بعد متر منهما ،
مرت رودى بالتعلق به بقوة . وقالت له : « .. مهما
دث ، فعليك الإمساك بالعمود ، ولا تدعه يفلت منك ! » .
كانت هيلين نفسها تشعر بالضعف الشديد ، وفجأة
ذت قبضتها اليسرى الممزقة من فوق السلك الشائك ،
حملها التيار بسرعة بعيدًا . ولم يكن لديها وقت إلا لكى
صرخ مرة أخرى « رودى ! ابق كما أنت ، وتعلق
لعمود بكل قوتك » .



أخذت الأم تنبه ابنها أن يتمسك بعمود التليفون مهما حدث ، بينما التيار الجار
يدفعها بعيدًا .



لم يطع « رودى » ما أمرته به أمه ، وانطلق يسبح لأول مرة في حياته لإنقاذ أمه م
الغرق ، باعتباره مسئولاً عنها

ولكن الصبى الصغير أصابه الرعب ، وهو يرى والدته تختفى فى الظلام ، ويسمع تحذيراتها المتكررة عن بعد « .. ابق كما أنت ! » . ولكن رودى لم يكن ليستطيع أن يطيع أمر والدته ، وترك عمود التليفون ، ليدور مع التيار ، ويجدف بيديه ورجليه بحثًا عن أمه . وأخذ يصرخ مناديًا أمه ليعرف مكانها ، ولكن لم يكن هناك سوى الظلام ، وصوت المياه المتدفقة ، التى تلطمه من كل جانب .

كانت هيلين تعوم مع التيار ووجهها لأعلى ، على بعد 100 متر ، وأخذت تدور ببطء مع الدوامات . وكان كيس نقودها وأوراقها Purse ، الذى علقته فى رقبتها بسرعة عند ترك السيارة ، يجذب رأسها لأسفل دائمًا . وتمكن رودى من السباحة إلى نفس الدوامة التى تحمل والدته ، مسترشدًا بصرخاتها لمعرفة مكانها فى الظلام . وشعرت هيلين بيدى الصبى القويتين ، وهما تطوقان عنقها وكتفيها . وقال رودى بهدوء : «كل شىء حسن يا أمى ! لن أدعك تواجهين الغرق . إن اللهّ يشملنا برعايته نحن الاثنين . »

وقذف بهما التيار بعيدًا بسرعة مخيفة . حيث تعلق رودى بكيس النقود حول عنق أمه وهو يجدف بيده الأخرى ورجليه . وبعد دقائق انقطعت أنفاسه خلال سباحته الأولى فى حياته ، واعتقد أنه لن يمكنه الاستمرار أبدًا . ولكنه تذكر كلمات والده فى ذلك الصباح ، وأنه رجل البيت فى غيابه ، وأنه مسئول عن سلامة والدته ، فاستمر فى المثابرة على السباحة والتجديف . وشعر بالإنهاك التام وهو يجذب والدته إلى بر الأمان ، وقد فعل ذلك لمدة ثلاث ساعات متصلة ، دون أن يتوقف أو يتخلى عن الأمل فى النجاة وإنقاذ والدته الجريحة .

وحوالى الثالثة والنصف فجرًا ، قذف بهما التيار إلى منطقة جانبية ضحلة على بعد حوالى أربعة كيلومترات من سيارتهم . واستقرا فى مياه لا يزيد عمقها على نصف المتر منتشره فى كل مكان حولهما ، وسط الظلام الحالك ، وقد نال منهما الإعياء تمامًا . واقترحت هيلين على ابنها الذهاب للعثور على نجدة ، والعودة إليها . ولكن رودى لم يكن ليترك والدته فى ذلك المكان . خاصة وأنها على حافة الانهيار والإغماء ، وقد رفع وجهها عن مستوى الماء عدة مرات .

قرب الخامسة فجرًا ، شاهد رودى على الضوء الخـ
شبح منزل قريب منهما ، وزحف الاثنان حتى وصلا
شرفة البـاب الأمامى ، وكان المكان خاليًا من السكـ
كما كانت أبوابه ونوافذه مغلقة بإحكام . وأراد رودى
يتكوم إلى جانب والدته ، مقهورًا فوق الشرفة التى ار
فوقها الماء لعدة سنتيمترات . ولكنه بدلاً من ذلك تو
إلى خلف المنزل ، حيث عثر على شرفة أخرى
الباب الخلفى ، وحزمة كبيرة من الحشائش المجففة

وبمجهود كبير ، ساعد والدته على الوصول إلى الشـ
الخلفية ، وهى تكاد تفقد الوعى . وفتح البالة أو الحـ
Bale ، ونثر نصفها من الدريس المجفف Hay فـ
أرضية الشرفة ، حيث تمددت والدته فوقها ، ثم غطـ
بالنصف الآخر ، كى تستعيد حرارة جسدها ، ثم جلـ
يراقبها .

كانت الأمطار قد توقفت منذ فترة ، وانحسرت الـ
كثيرًا ، وتوقف السيل العارم . وعندما سطعت الشـ
بأشعتها ، شاهد رودى لأول مرة الحالة المزرية الـ
كانت عليها والدته . فقد تسلخ لحم يدها اليسر

ـخت بشدة من الورم . وكان وجهها أبيض لا دماء
فقد كانت فى حاجة إلى الدفء والعناية الطبية
ـلة . وأيقظها من نومها ، قائلاً لها إنهما يجب أن
ـها إلى الجانب الآخر من المنزل حتى يمكن أن
ـا رجال الإنقاذ . ولف ذراعه حول خصرها
ـدها على الوصول إلى الطريق .

ـت فرق الإنقاذ ـ ومعهم الجار ديك راتجين ـ قد بدأت
ـات البحث فى السادسة والنصف صباحًا . وبعد
ـ ساعات من بداية المحنة ، حملت سيارة إسعاف
ـوابنها إلى أقرب مستشفى . ورفض رودى العودة
المزرعة حتى يطمئن على والدته تمامًا . وبعد
ـ جراحة عاجلة ليدها ، واطمأن الصبى أن والدته
، سمح لنفسه بالنوم العميق من الإرهاق الشديد .

ـى السادس من فبراير 1981 ، تجمع نخبة من
ـئولين والوجهاء فى الإقليم والولاية ، فى قاعة
ـقالات الكبرى بمدينة أماريللو Amarillo شمال ولاية
ـاس ، لتكريم رودى . حيث قرر اتحاد الكشافة Boy
Sco فى الولايات المتحدة الأمريكية ، منح رالف بريان
ـدى » ميدالية الشرف Honor Medal ، من رتبة

سعفتى النخيل المتقاطعتين Crossed palms التى ترمز لليد الممدودة ، لما أبداه من شجاعة وبطولة فائقة . وهذه الميدالية القيمة ، لم تمنح طوال 70 سنة ، إلا إلى 31 فقط من فتيان الكشافة ، على مدار تاريخ اتحاد الكشافة الأمريكى . منهم أربعة فقط لأشبال الكشافة Cub Scouts ، من بينهم رودى .

ولكن التقدير الخاص الذى ناله رودى من والده وأمه ، كان أهم بالنسبة له بكثير . إذ أكد له بلا شك أنه « رجل البيت » Man of the House ، فى غياب والده .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Dallas Magazine, An Article by Allen Rankin, Dated April 1981.
Published by Dallas Southwest Media Corporation.
2902 Carlisle. Dallas 75204, Texas, U.S.A.

٤ـ أطفال فى مسار القطار المندفع ..

[بقلم : جاك مورفى]

استيقظت كاتى ريتشارد Kathy Richard ـ 30 سنة ـ بعد ساعات من خروج زوجها إلى عمله مبكرًا . وكان يومًا جميلاً مشرقًا من أوائل أيام شهر مايو 1989 ، حيث أخذت كاتى تعتنى بطفليها الصغيرين ، تود Tod ـ 3.5 سنة ، وسكوت Scott ـ 18 شهرًا ، فور إيقاظهما من النوم . ثم انهمكت بعد ذلك فى نقل أكياس البقالة ـ التى أحضرها زوجها مساءً ـ من السيارة إلى داخل المنزل .

كان المنزل الريفى يقع فى ضاحية بعيدة فى مدينة رامزى Ramsay الصغيرة بولاية نيو جيرسى الأمريكية New Jersey . ويبعد حوالى 100 متر عن مسار قضبان السكك الحديدية ، ولا يفصل المنزل عن القطارات سوى بعض الأشجار والأجمات الكثيفة . وكان الطفلان يلعبان فى الدرب المؤدى إلى المنزل ، فنادتهما والدتهما « .. ابقيا كما أنتما . لا تذهبان بعيدًا . سأدخل الأكياس ، ثم نحضر طعام الغداء ! » . وفى تلك الأثناء دوت صفارة قطار سريع ، حيث مر بسرعة .

ندما دخلت الأم إلى باب المطبخ الخلفى حاملة
س ، راقبها تود حتى توارت ، ثم خاطب أخاه الصغير
ـة حازمة ، وحثـه على أن يكون أخًا طيبًا . ولكن
ت قذفه بسيارة صغيرة من لعبه ، وهو لم يشأ الخضوع
لان أخيه ، وقال له : « كن أنت ولدًا صالحًا ! » .

ور أن وضعت كاتى بعض الأكياس فى أماكنهـا ،
ت إلى الخارج ، لتطمئن على الطفلين ، فوجدتهما
ان فى الممر المؤدى إلى المنزل كما كانـا . ثم
ت فى نقل المزيد من الأكياس من السيارة ، حينما
ت صوت قطار سريع يمر خلف الأشجار ، فخمنت أنه
ركاب ، وعادت إلى المطبخ . وربما أثار صوت القطار
ل الطفلين ، فقررا التوجه إلى خط السكك الحديدية ،
لا بين الأشجار والحشائش ، وتسلقا حافة ترابية ،
خذا يلعبان بالأحجار والزلط على الخط الحديدى .

ى تلك اللحظة كان هناك قطار شحن « بضاعة » آتيًا
من الغرب فى اتجاه الطفلين . وأظهرت الإشارات
نية ، أن قطار الركاب السابق قد انحرف فى مسار
، وأن فى إمكان قطار الشحن معاودة الانطلاق بسرعته
ية ، والتى تصل إلى 65 كيلومترًا فى الساعة .

عندئذ فتح فنى القطار ريتش كامبانا ch Campana
صمام السرعة وأطلق العنان للقطار . ثم التفت
السائق أنتونى فلزو Antony Falsio – 35 سنة – الذى
يجلس إلى نافذة المراقبة اليسرى لجرار القطار ، وس
« ما الذى سوف تفعله فى عطلة نهاية الأسبوع ؟ »

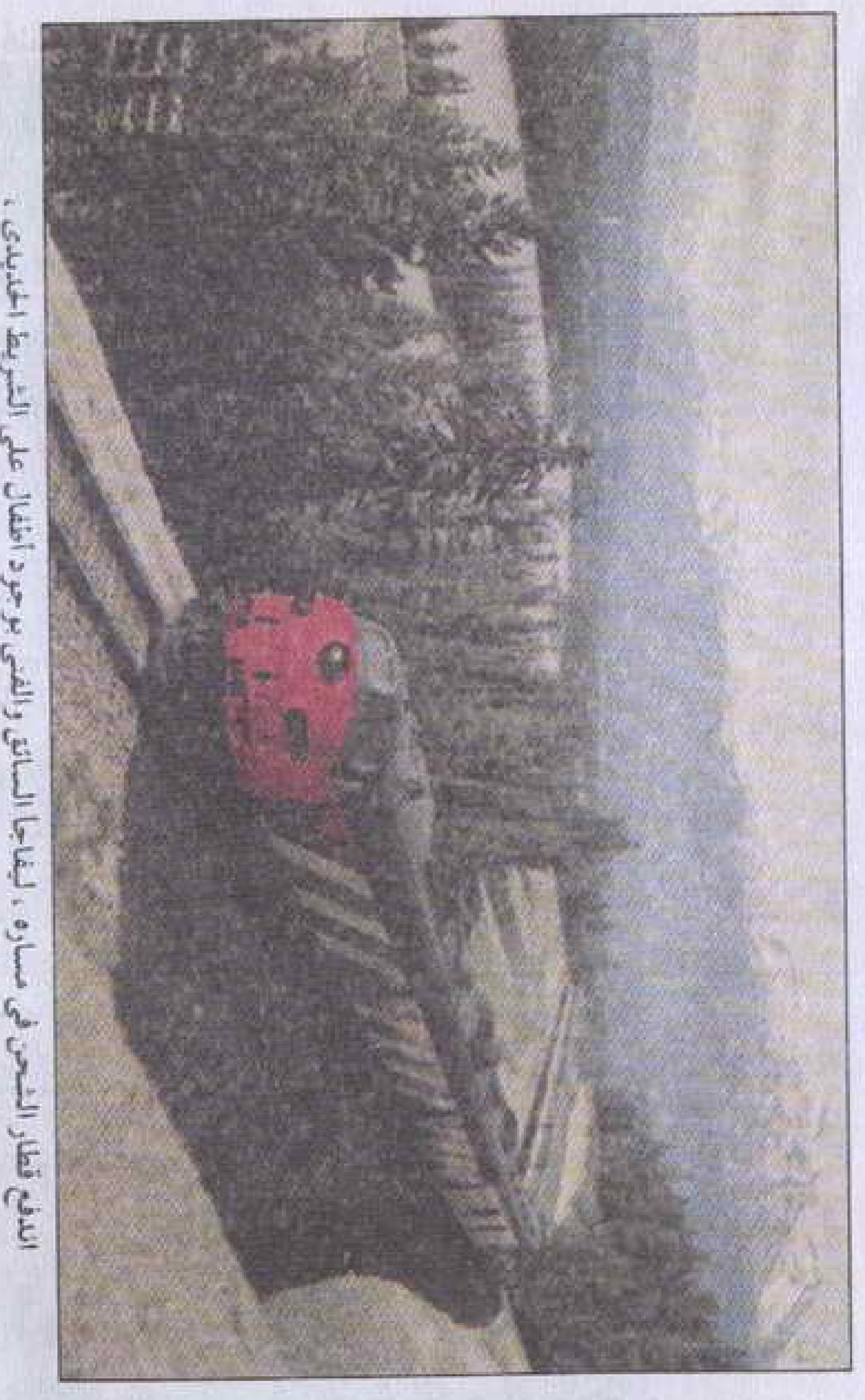
أدار أنتونى رأسه لحظة نحو ريتش ، ثم ابتسم ق
« لاشىء ينكر . قد أذهب لسهرة مع الأصدقاء ، أو أ
التلفزيون فى المنزل » . وأخذ الصديقان يتضاحكان م
بينما ازدادت سرعة القطار الجرار ، وهو يسحب
19 عربة شحن محملة بالبضائع . وكان أنتونى قد عمل
السكك الحديدية لحوالى 15 سنة متصلة ، بعد أن
فى بداية حياته كمساعد شرطى فى المدينة لست سنو
ولكن أصدقاء والده ساعدوه على الدراسة والالتحاق
العمل الذى يحبه . وقد رافق ريتش فى رحلات عديدة
خط سوفرن إلى ولاية نيويورك . واعتاد على ر
الأولاد وهم يلوحون للقطار ، فيرد لهم التحية دائمًا

فجأة لمحا شيئًا على الشريط الحديدى الممتد أمام
فتساءل ريتش : « ماذا هناك على الشريط ؟ » . لم
أنتونى ، وإنما أخذ يحدق بعمق محاولاً تبين ذلك ال

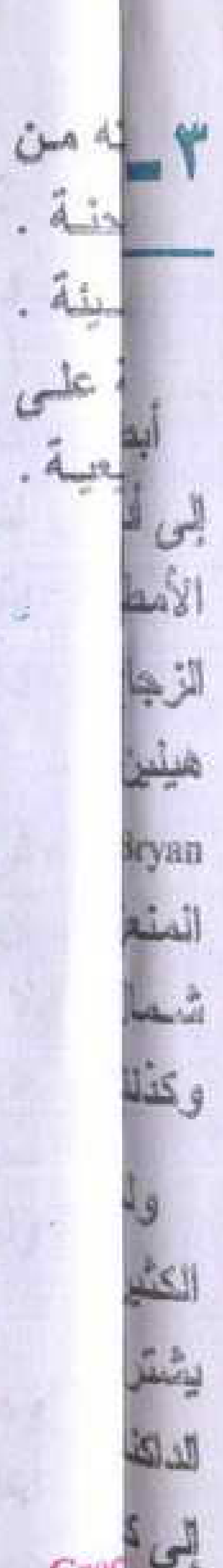
الغريب ، أهى علبة كرتون قذف بهـا الهـواء ، أم مجرد قطعة ثياب بالية ؟

لحظات فقط وعرف الرجلان ما هو هذا الشـىء ، فضغط ريتش فرامل الطوارئ ، وجذب صفـارة الهـواء بقـوة . بينما صاح أنتونـى : « هنـاك أولاد صغـار علـى الشريط الحديدى ! » . كان أنتونى قد أختبر عدة حالات طارئة ، خاصة خلال خدمته فى سلك الشرطة . فانطلق عبر بـاب القطار ، وسار على حافة ضيقة على جانب الجرار تعلـو مترين عن العجلات ، ممسكًا بمقابض معدنية مثبتـة فـى جوانب ومقدمة الجرار ، حتى وصل إلى مقدمة الجرار ، فوق سلاح جرف الثلوج المثبت بإحكام .

رأى أنتونى الطفلين بوضوح ، وقد ركعا على الشريط وهمـا يلعبان بالأحجار . فأخذ يلوح لهمـا بيديه وهـو يصيح باهتياج أن يبتعدا ، فى نفس الوقت الذى أخذت فيه صفارة القطار تدوى بجنون ، وتختلط بأصوات الفرامـل والعجلات المنزلقة فى أزيز مرتفع فوق القضبان ، وهـى تزحف زحفًا . وقدر أنتونى سرعة إبطاء القطار ، وهو يزحف تحت ثقل البضـائع فـى العربـات المتعددة وراءه ، وفكـر مذعورًا « لن نتمكن من التوقف فى الوقت المناسب ! »



اندفع قطار الشحن فى مساره ، ليفاجأ السائق والفنى بوجود أطفال على الشريط الحديدى ، فضغطا فرامل الطوارئ دون جدوى .



ان الطفلان منهمكين فى لعبهمـا ، وغـافلين عمـا
يهما . فلم ينتبها للقطار الداهم . وأخيرًا التفت الولد
غير سكوت ، عنـدما أصبح صوت القطـار كالرعد
سف ، فرفع نظره وتجمد من الرعب ! وأخـذ القطـار
بطاء سرعته ، حيث يحتاج لمسافة أطول للتوقف
ل . وأدرك أنتونـى أنه لن يستطيع أن يسبقه إلـى
ين . فقرر أن ينتظر حتى إذا ضاقت المسافة إلى
ى ثلاثة أمتار ، فيمكنه حينئذ القفز والإمساك بهما .

ز أنتونى إلى جانب الشريط فـوق الحصى ، وخطـا
رتين سريعتين ، أوصلتاه إلى الطفلين اللذين كانـا
نان بذهول من الصدمة المباغتـه . وارتمـى أنتونـى
قوته فوقهما بين الشريطين الحديديين .

قظ صوت صفارة القطـار المستمر الأم من غفلتها
ودها ، فأخذت تبحث عن الأولاد . وركضت بسرعة
الخارج فلم تجد طفليها فى ممر المنزل . وتذكرت
الحديدى فهرعت إليه مذعورةً .

قط أنتونى فـوق تـود ومـد يـده بسرعة إلـى سكوت
غير ليسحبه عـن القضـبان ، ولكن الجـرار دهمـه .

ورأى شفرة جرافة الثلوج وهى تتجه نحوه . ثم وهى تصدم الطفل الصغير تحت ذقنه ، وتدفع برأسه إلى الوراء ، ثم تمر فوق وجهه ، ملامسةً جبينه الذى تفجرت منه الدماء . ومرت عجلات الجرار فوق سترة أنتونى فمزقتها . لكنه تمكن أخيرًا من سحب سكوت الصغير تحته مع تود ، وهو يحميهما بجسده . ومر الجرار الأول فوقهما ببضع سنتيمترات ، ثم أخذت العربات الأخرى تمر فوقهما أيضًا .

عندما توقف القطار أخيرًا ، انطلق تود وهو يركض باكيًا نحو أمه المذعورة . ولكن كاتى تبينت أنه لم يصب بأذى ، فضمته إليها وهى ترتعد ، وهى تحاول أن تهدئ من روع الطفل . ثم شاهدت رجلاً مستلقيًا تحت عجلات العربة الثالثة بين القضبان ، وهو يغطى بجسده سكوت الصغير ، الذى غطت الدماء المتجمدة وجهه ، فأخذت تبكى وتصرخ .

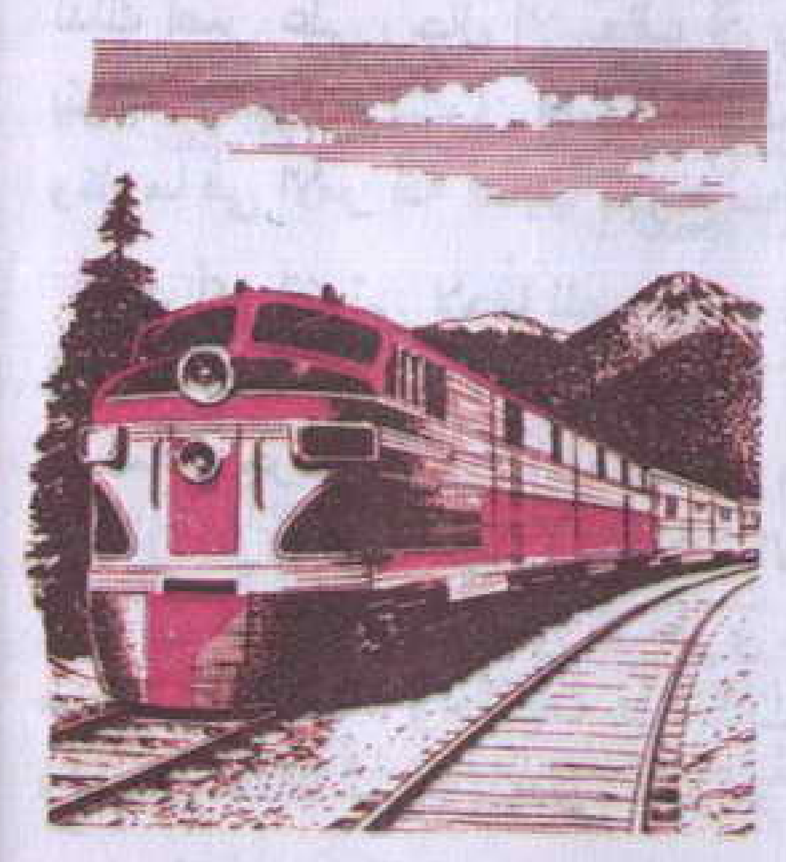
نظر إليها أنتونى وقال بصوت هادئ : « سيدتى ، اذهبى إلى المنزل واطلبى الشرطة وسيارة الأسعاف ! » . ولكن كاتى تجاهلت كلماته ، ومدت يدها لتسحب طفلها . فأعاد عليها أنتونى قوله بحزم وصرامة .

هرعت كاتى إلى المنزل ، واتصلت بالشرطة والإسعاف ، ثم بزوجها جارى ريتشارد Gary فى عمله بالمدينة . وكان أنتونى مازال ممسكًا بالطفل الصغير ، حين وصول (البوليس) ، وعرف من بكائه أنه مازال حيًّا . لكن ربما كان أصيب بأضرار داخلية ، قد تزيدها الحركة سوءًا . لذلك أصر على رجال الإسعاف أن يفحصوه بدقة قبل أن يتركه . وتبين بعد ذلك أن إصابة سكوت الصغير ليست خطيرة . وكل ما فى الأمر أنه أصيب بجرح سطحى فى ذقنه وجبهته .

وقد أكد أنتونى لاحقًا للصحفيين ، أنه لم يتردد لحظة فى المخاطرة بحياته لإنقاذ الطفلين . برغم أنه يعلم تمامًا أن سلاح جرف الثلوج ، المثبت فى مقدمة جرار القطار ، لا يعلو سوى 35 سنتيمترًا فقط عن الأرض . وقال بصدق : « .. إن كل ماجال فى خاطرى ، أن طفلين بريئين سيقضى عليهما ، وأمامهما حياة كاملة حافلة بالمنجزات . ولم يكن هناك شىء يبعدنى عما عزمت عليه » .

بعد فترة زار أنتونى فالزو أسرة ريتشارد فى منزلهم . وهو يتذكر كيف طوق تود وسكوت بيديه ورفعهما إلى أعلى عند رؤيتهما ، فلقد كان يستعيد أيضًا اللحظة التى حماهما فيها بجسده تحت القطار . ومنذ تلك الزيارة ، أصبح أنتونى واحدًا من أفراد الأسرة .

وقد احتفلت بشجاعة أنتونى عدة منظمات فى
نيوجيرسى ، ومنحته شهادات تقدير وجوائز ع
بينما قامت شركة السكك الحديدية التى يعمل بها
وترقيته ورفع مرتبه . ثم أقامت سياجًا واقيًا بين
هذه الضاحية والشريط الحديدى ، طبقًا لاقتراح أنتو



بتصرف مختصر عن المصدر :

ristian Science Monitor, An Article by Jack Murphy,
ugust 1989.
y Street, Boston 15, Massachusetts, U.S.A.

ـ عندما انهارت الأحجار المجروشة ..

[بقلم : جوزيف بلانك]

هنرى سكريفانز Henry Scrivens ، رجلاً هادئًا لايطو
ه على الإطلاق ، برغم أنه أب لستة أطفال ، ويبلغ
عمر 49 عامًا . وقد استمر فى عمله الحالى كرئيس
عة عمل فى شركة لجرش الصخور Crushed Stone
لاية فلوريدا الأمريكية Florida ، لأكثر من 25 عامًا .
كتسب ثقة المسئولين بالشركة واحترامهم وتقديرهم .
المراقب Supervisor ، بيل لو جراند Bill Le Grand
هناك من حولنا من يمكن الاعتماد عليه غير
ف . فهو شخص ودود يدرك حجم المسئولية ،
أنه مستقل برأيه » .

صباح يوم الثلاثاء ، السابع من يوليو 1977 ، بدأ
نوبة عمله فى الثالثة والنصف فجرًا . حيث كان
شيلى هاموندز Shelly Hammonds ـ 25 سنة ـ والذى
عمله منذ سبعة أسابيع فقط . وسائقا اللودر
الضخم جون برانش John Branch ، وروجر ميسر
Roger ، واللذين بدآ العمل فوق الرافعة العملاقة .

كان هناك كوم كبير من الحصى Gravel الذى لايزيد قطره على سنتيمتر واحد . ويبلغ ارتفاع هذا الكوم حوالى 18 مترًا ، ويفترش مساحة واسعة تصل عند القاع 36 مترًا . وتحت هذا الكوم منزلق صغير Chute عرضه 30 سنتيمترًا وطوله 45 سنتيمترًا ، حيث تتدحرج عليه حبيبات الحصى والأحجار المجروشة كالرمال ، إلى سير جلدى دوار يؤدى إلى محطة التحكم أسفل . وهناك يحمل الحصى فوق سيارات الشحن المنتظرة Lorries وعربات السكك الحديدية ، لعمليات البناء وإنشاء الطرق .

بدأ السير الجلدى فى التحرك بعد ربع الساعة من بدء العمل . وذهب شيلى إلى النفق الأسفل ، وفتح المنزلق الأسفل ، فبدأت حبيبات الحصى فى التدحرج على السير . ثم صعد إلى أعلى الكوم لالتقاط الأحجار الكبيرة التى يمكن أن تسد فتحة المنزلق .

وأخذ اللودر بذراعه الطويلة ، بجرف الحصى نحو الكوم ، لتقليل مساحة انتشار الحصى ، ودفع الحصى والأحجار المجروشة نحو الفتحة . بينما أخذ سكريف يدير البولدوزر Bulldozer لدفع الحصى نحو الفتحة من أسفل الكوم إلى أعلى .

عندما بدأ الحصى يتحرك إلى أسفل عبر الفتحة نحو السير الدوار ، تكون فى أعلى الكوم ما يشبه الدوامة المنزلقة إلى الأعماق . وبناءً على تعليمات الإدارة التى اتخذت منذ أسابيع لسلامة العمل ، فقد تم تحذير الجميع من عدم التقدم نحو حافة قمع الدوامة Cone - التى شكلها الحصى المتدحرج إلى أسفل - إلا على بعد أكثر من متر مع أخذ الحذر الشديد . فقد خشيت إدارة الشركة أن تسحب دوامة الأحجار ، عبر القمع المنزلق إلى أسفل ، أحد عمالها . دون أن يستطيع أن يقاوم الهبوط إلى أسفل عبر الحصى المتدحرج ، حيث يمكن أن يدفن حيًا فى الحصى . وكان هذا الافتراض بعيد الاحتمال وقتها ، ولم يحدث من قبل فى أى محجر أو منجم ، ولكنه حدث بالفعل وبنفس التصور ، بعدها بأسابيع قليلة .

فعندما اقترب شيلى من حافة القمع فى حوالى الخامسة صباحًا ، لالتقاط كتلة من الطَّفَل Clay ، كان قريبًا جدًا من الحافة . وزاد وزن جسمه من فتحة القمع ، حيث وجد قدميه تتحركان من تحته مع الحصى المتدحرج إلى أسفل نحو فتحة المنزلق .

كان سكريف أول من سمع صرخات شيلى بالنجدة ،

وصعد بسرعة فوق الكوم ، ليرى شيلى وقد رفع يديه إلى أعلى ، وقد اختفى نصفه الأسفل فى القمع المتحرك . أخذ سكريف يصرخ فى العاملين على الرافعة الضخمة بوقف الحزام الدوار . حيث تحدثا فى التليفون الداخلى « إنتركوم Intercom » إلى محطة التحكم فى الحال .

ومع ذلك فإن سكريف اندفع نحو حافة القمع المتحرك ، دون أن يعرف إن كانت صيحاته قد سُمعت . وواجه شيلى الذى بدا خائفًا دون أن يتكلم ، وأخذ يجذب ذراعيه بقوة ، ولكن دون جدوى ، فقد ثبتت الأحجار المجروشة شيلى فى مكانه .

خلال ثوان ، أصبح سكريف أيضًا فى نفس المأزق . وارتفع الحصى حول جسمه إلى مستوى مرعب ، وهو يغوص لأسفل . وغطى الحصى رأس شيلى بالفعل ، ثم وصل إلى عنق سكريف . وعندما لمس ذقنه ، توقف الحزام عن الدوران . لكن الحصى استمر فى الانزلاق لأسفل داخل القمع ، حتى إن سكريف اضطر إلى رفع ذقنه إلى أعلى مرات ، لإبعاد الحصى عن أنفه وفمه . ثم توقف انهيار الحصى فى القمع ، قبل ثوان من الموت .

كان وجه شيلى يضغط على صدر سكريف أسفل القلب مباشرة . وكان سكريف يشعر بتنفس شيلى السريع ،



كان « شيلى » قد سقط فى قاع قمع الحصى المتحرك ، ومع ذلك تقدم « سكريف » لمساعدته ، فوقع فى نفس المشكلة .



كان العمل يجرى على مدار الساعة فى محجر فى ولاية فلوريدا الأمريكية ، لتجهيز الحصى اللازم للبناء وتمهيد الطرق ، بالأوناش الضخمة .

وقد غطاه الحصى تمامًا . فأخذ يبعد الحصى من فوق رأسه ، حافرًا فجوة مناسبة لتمرير الهواء لأنف شيلى حتى لا يختنق . وقد نجح فى ذلك ، ولكن الحصى أستمر فى التدحرج من حوله داخل القمع .

سمع سكريف أصواتا كثيرة من الرجال الذين تسلقوا كوم الحصى . وكانوا قريبين من الحافة ، مما أدى إلى سقوط المزيد من الحصى نحو قاع القمع ، فوق رأس سكريف . وصرخ فيهم أن يبتعدوا عن الحافة ، فشيلى مازال تحته وسوف يموت بهذه الطريقة . ثم أخذ يبعد الحصى عن أنف شيلى .

صاح المراقب آلفين رايمر Alvin Rymer نحو سكريف «سوف ندلى إليك بحبل ، وضع ذراعيك داخل الأنشوطة . واسحب شيلى معك . فقد يمكننا سحبكما معًا » . ولف سكريف الأنشوطة حول ذراعيه وكتفيه ، كما أن ساقيه تمسكان شيلى بإحكام حول جسمه وصدره بضغط الحصى . وببطء بدء الرجال فى جذب الحبل لأعلى ، وبعد لحظات صرخ سكريف أن يتوقفوا . فسوف يؤدى الجذب إلى تمزيقه إلى نصفين ، كما أن حركة الحبل أدت إلى سقوط المزيد من الحصى داخل القمع .

أمر المراقب بيل ، مشغلى اللودر ، بانزال الحصى المتكوم قرب حافة القمع بأقصى سرعة . وانخفض الذراع الطويل ، « وسلتها » الحديدة الضخمة التى تزن طنين لإتمام العمل . ولكن ضغط المجرفة الضخمة كان كبيرًا على الرجلين المدفونين ، مسببة آلامًا رهيبة على ساقى سكريف . وتوقف عمل اللودر على الفور عند الحافة ، ولكن بعيدًا عند قاع الكوم .

كان الهدف الذى كان يسعى إليه المراقب بيل ، أن يخفض مستوى ارتفاع جبل الحصى إلى حيث مستوى الرجلين المدفونين . وأخذ عشرون رجلاً آخرون فى العمل على إزاحة الحصى من جانبى القمع بالكواريك Shovel ، وحتى بالأيدى العارية .

ظل سكريف يبعد الحصى عن أنف شيلى حتى يمكنه أن يتنفس ، وأخذ يبتهل إلى الله أن ينهى محنتهما . وبعد ساعة ونصف الساعة ، لم يكن سكريف قد سمع صوتًا من شيلى ، ولكنه كان يشعر بتنفسه وحركة رأسه بين الحين والآخر ، ولكن يدى سكريف أخذتا فى التثاقل ، كما أنه لم يعد يشعر بساقيه على الإطلاق .

أخذ الحصى فى القمع يتضاعل مع الوقت . وفى الساعة السابعة صباحًا ، أمر المراقب بيل بوضع شبكة ثقيلة حول رأس سكريف . حيث يجرى جرف الحصى بعيدًا عن الشبكة ، بهدف تخفيض مستوى ارتفاع الحصى ، والوصول به بسرعة إلى مستوى الرجلين . ولكن الحصى استمر فى الانزلاق .

فى الساعة السابعة والنصف صباحًا ، وصل مستوى الحفر والجرف لجبل الحصى إلى المستوى الذى يمكن فيه جذب الرجلين لأعلى ، بعد إزالة أكثر من 300 طن من الحصى . وأرسل الرجلان على الفور إلى المستشفى ، وكانت أحذيتهما ملتصقة تمامًا بأقدامهما من شدة الضغط ، حتى لقد استخدمت سكين فى تقطيعها .

ظل شيلى فى المستشفى لأسبوع ، حيث عولج من إصابة عضلات رقبته ، وآلام ظهره وذراعيه ، وارتدى طوقًا للعنق Neck Brace لعدة أسابيع . ولم يعد للعمل مرة أخرى ، وتوجه إلى ولاية ألاباما بعد ثلاثة أشهر .

أما سكريف فقد غادر المستشفى بعد عدة ساعات إلى منزله ، حيث طلب من زوجته إيرين Irene إحضار ملابس نظيفة

له فى المستشفى ، واصطحابه إلى المنزل فى سيارتها . وأخذت زوجته طوال الوقت فى ذلك المساء تسأله : « هل أنت بخير ؟ » ، وكان يؤكد لها دائمًا أنه فى حالة جيدة . وأخيرًا انفجرت إيرين فى البكاء « إن هذا شيء مزعج ، فقد كان يمكن أن تقتل ، وماذا يمكن أن أفعل من دونك ؟! » . وظل سكريف ليوم آخر فى المنزل ، ثم ذهب إلى عمله فى فجر اليوم التالى . فلم يعد يحتمل بكاء زوجته وأطفاله الستة .

ازدادت مكانة سكريف بين زملائه ورؤسائه ، فهو رجل يمكن الاعتماد عليه حقًا . فقد خاطر بحياته لإنقاذ حياة آخر ، وقد كاد هو نفسه أن يفقدها . كما كان فخرًا لزوجته وأولاده ، برغم إنهم كادوا يصبحون يتامى من غيره .

وفى نفس العام منحت لجنة صندوق كارنيجى فى الولايات المتحدة ، ميداليتها الفضية للشجاعة إلى هنرى سكريفانز . كما حصل على الميدالية الشرفية لجمعية المناجم فى الولايات المتحدة الأمريكية .

بتصرف مختصر عن المصدر :

Gourmet Magazine, An Article by Joseph Blank, Dated Feb. 1978.

777 Third Avenue, New york, N.y., U.S.A.

٦ ـ ألصق الخاطفون قنبلة بجسده ..

[بقلم : رافائيل دوبارى]

فى صباح يوم الخامس من يونيو 1978 ، اتصل شخص غريب ، قال إن اسمه جوليان رودريجرز Jolian Rodregers ، بمنزل الدكتور مانويل كاباليرو Manuel Capaliro ـ 34 سنة ـ وقال إنه يريد مقابلته بشأن الإعلان المنشور عن بيع فيلا يمتلكها هو ووالدته ، فى مدينة أورينسى Orense التى تقع شمال غرب إسبانيا قرب الحدود البرتجالية الشمالية . واتفق الاثنان على الالتقاء فى الفندق الذى يقيم فيه جوليان ، فى نهاية يوم العمل عند الغروب .

فى الميعاد المحدد ، وصل الدكتور مانويل إلى الفندق ، وفتح باب الجناح Suit رقم 202 رجل أنيق المظهر ، يتكلم بلهجة راقية . وانخرط الاثنان على الفور فى مناقشة موضوع الفيلا ، التى تبلغ قيمتها حوالى 60 مليون بيزيتا Peseta ـ حوالى مليون دولار . وأظهر جوليان اهتمامًا واضحًا فى معرفة تفاصيل شروط البيع وطريقة الدفع . ثم نهض من مقعده بعد فترة قائلاً : « سوف أقدم لك

عرضًا أفضل ! » . ودخل غرفة النوم وعاد بعد لحظات ، وقدم للطبيب ورقة مطوية . ثم دار وكأنه سيحضر شيئًا ووقف خلفه .

فتح مانويل الورقة ، وقرأ ما فيها من عبارات مطبوعة على الآلة الكاتبة « .. هذه عملية اختطاف وسطو بالإكراه . عليك أن تفعل ما أقوله لك ، حتى لاتتعرض للخطر ! » ابتسم الطبيب بما يشبه التهكم ، وأدار وجهه نحو مضيفه . ليجد فوهة مسدس مصوبة نحو رأسه مباشرة على بعد متر فقط . فأسقط فى يده ، واختفت الابتسامة ، وكان لابد من الانصياع .

أمره جوليان أن يركع على ركبتيه ، وقد تغيرت لهجته الراقية . وأن يسند رأسه إلى المنضدة ، ويضع يديه خلف ظهره . وعندما فعل الطبيب ، وجد معصميه وقد قيدتا بأنشوطتين من النايلون ، جرى إعدادها من قبل . ثم أمره جوليان بالسير إلى غرفة النوم ، حيث قيد قدميه ، ووضع شريطًا لاصقًا فوق عينيه ، وفتح أزرار قميصه . وأحس الطبيب بشىء صلب مربع الشكل يضغط فوق صدره . فأدرك حقيقة ما يحدث ، لقد أصبح

ضحية أخرى لأسلوب جديد للاختطاف ظهر فى إسبانيا . حيث يطلق المخطوف نفسه لإحضار الفدية المالية المطلوبة ، بعد لصق قنبلة زمنية بجسمه .

أخذ جوليان يلف حبلاً حول عنق الطبيب ، وآخر أسفل ضلوعه ، ثم أوصل الحبلين بالقنبلة فوق صدره . ثم قام بعد ذلك بوضع طبقات من شريط طبى لاصق Plaster ، غطى بها القنبلة والحبل الذى يدور أسفل الأضلاع . وأخيرًا قام بنزع الشريط اللاصق من فوق عينيه . ووضع أمام الدكتور مانويل ورقة أخرى مطبوعة ، تبلغه أن قنبلة زمنية قد ثبتت فوق صدره . وأن عليه دفع 10 مليون بيزيتا قبل الرابعة عصر اليوم التالى . وأن القنبلة سوف تنفجر فى فترة تتراوح بين 75-95 ساعة من الآن .. وأنهم الوحيدون الذين يستطيعون رفع القنبلة دون أن تنفجر . وفى حالة إبلاغ الشرطة ، أو عدم الدفع ، فسوف تتخذ إجراءات انتقامية ضد أسرته .

سأله الدكتور مانويل ، إن كان هذا الشىء آمنا ، فدق جوليان بأصابعه فوق القنبلة ، موضحًا أنها لن تنفجر قبل موعدها ، إلا إذا أصابها صدمة شديدة ، أو تعرضت

للبلل ، أو فصلت عن جسمه ونزع منها الحبل الملفوف حول رقبته . وأكد له أنه سوف يتصل به تليفونيًا فى الثالثة عصر اليوم التالى لإبلاغه بمكان وضع الفدية ، على أن يبقى فى الفندق حتى الثامنة مساءً .

بعد دقائق ، تخلص الدكتور مانويل من قيوده غير المحكمة ، وأخذ يفحص نفسه أمام المرآة . وبدت له القنبلة الملصقة فى حجم علبة سجائر ، ولاحظ وصلة صغيرة بارزة فوق حافة الشريط اللاصق ، خيل إليه أنها ميكروفون للتنصت عليه ومراقبته ، حتى يكتشفوا أية محاولة منه لخداعهم .

غادر الطبيب الفندق قبل الثامنة مساءً بدقائق ، وسار إلى منزله عبر شوارع مدينة أورينسى فى هدوء وكأن شيئا لم يحدث . وعندما وصل إلى منزله لم يجد زوجته سيمور Seymour وأطفاله الثلاثة . فأخذ يفكر فى المأزق الذى وضع نفسه فيه ، والمصير الذى آل إليه . وهل من الأفضل له أن يذهب إلى الجبال فى انتظار انفجار هذا الشىء اللعين ، بعيدًا عن الناس . ولكن قد يكون الأمر كله خدعة غير حقيقية .

وشعر بأنه فى حاجة إلى الحديث الصادق ، فذهب إلى منزل صديقه فيلكس Felex وزوجته لور Lure . وسرعان ما وصلت زوجته سيمور مع الأولاد كعادتها ، فسألت زوجها الدكتور ببشاشة عن نتيجة مباحثاته لبيع الفيلا . فقال مانويل بهدوء : « لقد كانت نتيجة سيئة ، لقد ثبتوا قنبلة فوق صدرى ! » .

شعرت سيمور بقشعريرة تجتاح كيانها ، إلا أنها سيطرت على نفسها ، فزوجها يحتاج إلى المساعدة ، لا البكاء والنشيج . وقص الطبيب ما حدث باختصار . وأصر على أن يتفاهم الجميع كتابة ، حيث إن هناك شكوك حول وجود الميكروفون . وانتهت المناقشات المكتوبة إلى ضرورة الحصول على نقود الفدية . وأمكن بسرعة وضع الترتيبات للحصول على المبلغ فور فتح البنوك فى الصباح ، بمساعدة صديق آخر للطبيب . وقبل ظهيرة اليوم التالى ، وصلت حقيبة جلدية بها مبلغ الفدية لمنزل الطبيب مانويل .

دق جرس التليفون فى الثالثة والنصف عصرًا ، وجاء صوت جوليان ليعطيه التعليمات . حيث كان على الطبيب أن ينطلق بالسيارة نحو الطريق المؤدى إلى ميناء فيجو Vigo

على المحيط الأطلنطى لمسافة 77 كيلومترًا حتى قرية صغيرة . ثم يستمر بعدها لمسافة ثمانية كيلومترات أخرى بالضبط ، حيث يجد فى طريقة نافورة مياه حجرية قديمة ، سوف يجد خلفها علبة فارغة بها تعليمات أخرى . ولكن عليه إلا ينطلق بالسيارة ، إلا بعد تلقى مكالمة أخرى ، والتى جاءت فى الخامسة مساءً .

انطلق الطبيب فى الطريق الموصوف ، وعثر على التعليمات التالية خلف النافورة . والتى كانت تأمره بالتوجه نحو تشكيل صخرى على هيئة رجل جالس ، فى مكان يبعد ثلاثة كيلومترات عبر أرض شديدة الوعورة . وأن يترك الفدية خلف التشكيل الصخرى . وسار مانويل على قدميه متجهًا إلى المكان ، حاملاً حقيبة النقود . وكان الشريط اللاصق الضيق يضغط على صدره وأضلاعه بطريقة مؤلمة . ثم بدأ العرق ، فأصابه الرعب من انفجار القنبلة من البلل . وبعد بضع مئات من الأمتار ، عاد إلى السيارة ، ثم إلى منزله فى الثامنة والنصف مساءً ، وقد انهارت معنوياته .

بعد ثلاث ساعات دق جرس التليفون ، وبعد أن استمع الخاطف إلى قصة الطبيب ، قال إنه سيتصل مرة أخرى

لتحديد مكان يسهل الوصول إليه . وجاءت المكالمة فى الثالثة والنصف فجرًا ، تعرفه بأن هناك تعليمات جديدة فى علبة فارغة سيجدها بجانب لافتة على الطريق ، تبعد ثلاثة كيلومترات عن وسط ميناء فيجو .

انطلق مانويل مرة أخرى إلى المكان الجديد ، وأخذ يبحث عن اللافته فى ضوء الفجر حتى وجدها . وأخبرته المذكرة ، بأنه فى نقطة مراقبة للتأكد من حضوره ومعه النقود . ثم أمرته أن يتوجه فى ممر ضيق ، حتى يبلغ حقلاً تغطيه الحشائش الطويلة . وفى وسط هذا الممر سوف يجد حقيبة رياضية ، وعليه أن يضع فيها النقود . ثم يعود إلى السيارة لينتظر داخلها عشر دقائق . يعود بعدها لأخذ الحقيبة بما فيها من نقود ، إلى موقع نهائى آخر قرب مدينة أورينسى . حيث يجد هناك لفافة من رقائق الألومينيوم تحوى التعليمات اللازمة لوقف انفجار القنبلة الزمنية ونزعها .

نفذ الطبيب التعليمات السابقة بأمانة ، وعندما عاد بعد دقائق وجد الحقيبة خفيفة على نحو غير عادى . بدت له لينة لاتتناسب مع صلابة الرزم المالية . وأدرك أنه خدع ، وأن الخاطفين أخذوا الملايين العشرة . وأن الحقيبة التى

يحملها ربما كانت تحمل قنبلة أخرى قد تنفجر على الفور . واستبد به الغضب فترك السيارة والحقيبة الخاوية ، وانطلق على قدميه يائسًا .

بعد فترة طويلة ، مرت سيارة تاكسى . وأوصلت الطبيب إلى ميناء فيجو . واتصل تليفونيًا بزوجته ، فأنبأته بأن صديقه اقنعها بإبلاغ الشرطة ففعلت . وأن فريقًا خاصًا من خبراء المتفجرات قدموا من الإقليم المجاور ، وينتظرونه حاليًا فى إدارة الشرطة فى مدينة أورينسى .

وصل مانويل إلى إدارة الشرطة فى العاشرة ألا ربعًا صباحًا . حيث قابل أندراس Andrass ، وكارلوس Carlos الخبيرين فى الشرطة الوطنية . وفى حجرة تحت الأرض ، ارتدى الخبيران ملابس واقية من الحريق ، ودروعًا من الألياف الزجاجية ، وخوذات من البلاستيك المقوى ، وأخذا يفحصان الشريط اللاصق الملفوف حول أسفل الضلوع . ثم التقطا صورًا عديدة بالأشعة ، ولم يفعلا شيئًا ، فى انتظار عودة رجال الشرطة الذين ذهبوا للبحث عن لفافة الألومينيوم ، ولكنهم لم يجدوا شيئًا .

انتقل الثلاثة إلى استوديو للتصوير فى الدور الأرضى ، بسبب أضوائه القوية . وقرر الخبيران نزع ملابسهما الواقية للعمل بحرية ، وأخذ أندراس يفرك ذقنه وهو يتأمل الدكتور . وسأله مانويل إن كان سبق لهما تعطيل جهاز مماثل ، وكانت الإجابة بالنفى . وقال كارلوس ضاحكًا : « إذا انفجر هذا الشىء اللعين ، فسننتقل جميعًا إلى العالم الآخر ! » .

فى العاشرة والنصف صباحًا ، بدأ العمل فى هذا الشىء اللعين . حيث أمسك أندراس بمبضع جراح ، وأخذ يقطع بهدوء طبقات الشريط اللاصق الذى يغطى القنبلة ، بينما ظل الطبيب واقفًا . وبعد حوالى الساعة من العمل الدقيق ، أمكن خلالها قطع بضع طبقات من الشريط اللاصق . وتوقف عندما لمس المبضع جسمًا أشبه بالزر ، حيث يحتمل أن يكون فتيل التفجير . فإذا نزع عنه الشريط اللاصق ، فقد يؤدى ذلك إلى تفجير القنبلة .

وكان من المحتمل وجود فتيل آخر كمفجر فى ظهر القنبلة . فدفع كارلوس ببطء شديد شريطًا من البلاستيك المتماسك بين صدر الطبيب والقنبلة . ثم ثبتها بإحكام



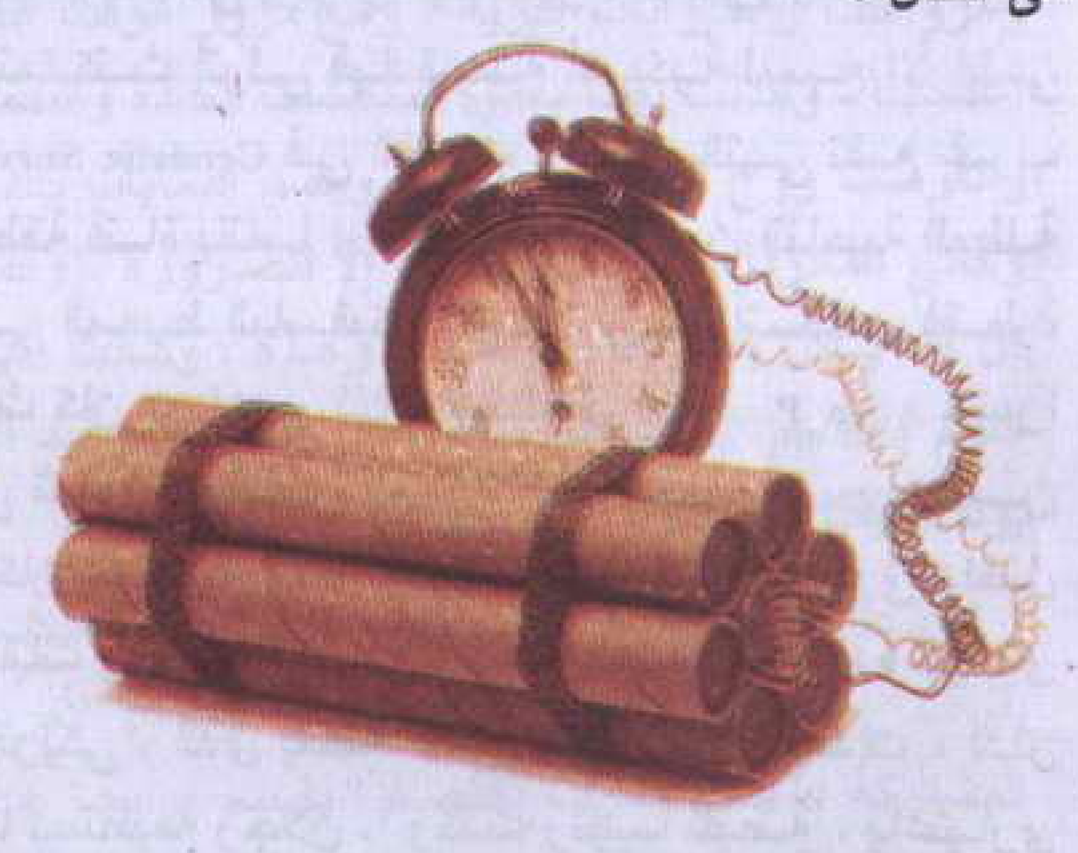
أخذ الخبيران يعملان ببطء لقطع الشرائط اللاصقة ، وإزالة القنبلة من فوق صدر الطبيب ، ثم تفجيرها بعيدًا .

حول القنبلة بشريط لاصق . وبعد إزالة جميع الشرائط اللاصقة ، فحص الخبيران التوصيلات الظاهرة ، واستقر رأيهما أن الحبل الرمادى الملفوف حول رقبة مانويل ليس أداة للتفجير ، كما زعم المختطف . وجمد الطبيب فى مكانه ، بينما أخذ أندراس يجذب ببطء طرفى الحبل من ثقبيهما على جانبى القنبلة .

ثم جاء دور الحبل الملتف حول أسفل الضلوع . وتولى الخبيران إنزاله على مهل ، وهو متصل بالقنبلة ، حتى استقر على الأرض . وفى الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد الظهر ، خرج مانويل من إدارة الشرطة وصار حرًا . وقام الخبيران فى نفس اليوم بتفجير القنبلة فى حقل خارج المدينة .

لم يتم العثور على الخاطفين برغم الجهود التى بذلت . ولكن الحادث أتاح لرجال الشرطة أنهم يمكنهم التصرف على نحو سليم لتأمين حياة الضحايا ، مما قضى تمامًا على مثل هذا السلوك الإجرامى . خاصة مع انتشار الوعى بأساليب مواجهة المجرمين ، والحذر من الغرباء فى المواقف المشابهة ، وتأمين مثل هذه اللقاءات بين

رجال الأعمال . والأهم من ذلك ، أن هناك أناسًا يقدمون أكثر من مجرد المساعدة ، إذ يعرضون حياتهم نفسها للخطر . ولذلك لا ينبغى الخضوع للتهديد أو الإبتزاز أو الإرهاب ، مهما كانت النتائج . ويجب إبلاغ السلطات فى الحال .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Reader's Digest Magazine, An Article by Raphael Du Barry, Dated Sep. 1978.

Pleasantville, N.y. 10570, U.S.A.

٧ ـ تسلل الثعبان إلى كيس النوم ..

[بقلم : إيفور سميتر]

حدث ذلك فى يوم من أيام شهر أغسطس 1949 الحارة ، حينما كنت أتولى قيادة بعثة أمريكية لمسح الأراضى Geodetic Survey فى الغابات والتلال التى تقع غرب منطقة قناة باناما panama Canal ، من الناحية المطلة على المحيط الباسفيكى . وكنا أربعة أشخاص فقط ، حيث كان مساعدى آلان بيمينتال Allan Pimental خبيرًا فى شئون المناطق الحارة . ثم فارجاس Vargas من سكان المنطقة الذى يعرف تمامًا كافة الطرق داخل الغابات والتلال المحيطة . وكان هناك مساعده الهندى الأمريكى ، الذى يمكنه حمل كمية من المعدات ، أكثر مما يستطيعه رجلان . وكنت رئيسًا للبعثة ، باعتبارى مهندسًا واكبرهم سنًا .

وقبل شروق شمس ذلك اليوم ، كنت قد انتهيت من تناول فنجان القهوة وبعض الشوفان المطهو Oatmeal . وكان القلق ينتابنى كل يوم ، نظرًا لأننا متاخرون عن

تنفيذ البرنامج المقرر . وقد قضينا الأسابيع الأولى ونحن نعمل بهمة لقياس قمم التلال البارزة ، ومسح المعالم الطبيعية فى هذه المنطقة الحارة . وكنا عرضة لأمراض المناطق الحارة بكافة أنواعها ، فضلاً عن الحشرات والزواحف والحيوانات البرية . ومع مرور الوقت انفلتت أعصابنا ، وحدثت بيننا بعض المناقشات الحادة والتذمر ، وانفرطت روح الفريق الواحد . وبعد إصابات جلدية ، وحمى الملاريا ، لم نعد نتحدث إلا للضرورة . وأصبح كل منا يأكل بمفرده ، ويصطاد وحده ، وكانت أكياس النوم Sleepin Bag فى المساء ، هى الشىء الوحيد الذى يؤلف بيننا مؤقتًا .

كان علىّ أن أتصل فى مساء اليوم التالى بجهاز اللاسلكى بقيادتنا ، وهى « المقر الإقليمى لعملية المسح الأمريكية المشتركة » التى تعرف اختصارًا باسم « آيجز » Iags حيث تقع فى مدينة بالبوا Balboa فى باناما . وكنت أبدأ رسالتى ـ فى الظروف العادية ـ بأن كل شئ على ما يرام ، ثم أحدد لطائرة التموين المكان الذى يمكن أن تلقى فيه بالبراشوت حمولتها من الأطعمة أو المعدات المطلوبة كل أسبوعين . ولكنى نويت هذه المرة أن

أطلب من رئاستنا ، إرسال طائرة هليكوبتر لنقلنا جميعًا إلى بالبوا للعلاج . وقبل أن يطلق أحدنا النار على الآخرين ، بدلاً من أن يطلقها على الحشرات !

كان فارجاس ومساعده الهندى الأمريكى ، يعدان إفطارهما ، عندما توجهت غاضبًا لإيقاظ آلان . وفى منتصف المسافة إلى كيس نومه صحت فيه ، ، ولكنه لم يتحرك . فلما اقتربت صرخت بأعلى صوتى ، ولكنى رأيت عينيه تحملقان فى اتجاهى دون أن يدير رأسه ، وقد شحب وجهه . تسمرت فى مكانى وقد حذرتنى عيناه ، ثم بدأت شفتاه تنفرجان . واقتربت من وجهه لأسمعه يهمس بلا صوت : « ثعبان ! » . تتبعت عينيه حيث وجههما وكانت هناك كتلة كبيرة متكومة داخل كيس النوم فوق بطنه تمامًا .

تجمدت من الرعب ، ثم تراجعت إلى الخلف ببطء . فأى صوت آخر غير الأصوات المألوفة فى الغابة ، قد يجعل الأفعى متحفزة وتوجه ضربتها . وأخبرت فارجاس ومساعده الهندى بما حدث همسًا ، فحملقا فى دهشة ، ولم يجرؤ أحدنا على الكلام .



كان « آلان » يحملق فى رعب داخل كيس نومه ، وقد تكوم الثعبان فوق بطنه لساعات ، فى أثناء مساعدة زملائه .



ثعبان الأشجار السام « بوشماستر » ، من النوع الذى تسلل إلى كيس النوم . حيث يمكنه أن يقتل فى دقائق .

تذكرت المحاضرات التى تلقيتها فى بالبوا قبل القيام بمهمة المسح فى الغابات « عليك بحرق الشجيرات الصغيرة التى تنمو تحت الأشجار الكبيرة شتاءً . أما فى الصيف فعليك أن تقتلعها ، حيث تأوى الجرذان والحيوانات الصغيرة التى تجذب الثعابين » . ولكن يبدو أن أعصابنا المتوترة ، جعلتنا نهمل تنفيذ هذه الاحتياطات .

اتجهنا نحو آلان فى سكون ، بينما كانت الغابة تدوى بأصوات الببغاوات والقرود ، وأخذنا نحملق فوق الانتفاخ الكبير الواضح فوق بطن آلان . وقد يكون الثعبان من نوع البوا Boa الصغير الحجم ، أو من فصيلة فير ــ دى ـ لانس Fer - de - Lance ، أو من حيات الأشجار المتوسطة الحجم Bushmaster . فإذا كان الثعبان من البوا ، فلا خشية هناك من لدغته حيث أن هذا النوع غير سام . والأحجام الكبيرة منه تعصر ضحيتها بعضلاتها حتى الموت . أما إذا كان من النوعين الأخيرين ، فهما سامان جدًا ، ولدغة من أحدهما يمكن أن تقتل آلان خلال دقائق .

فجأة صرخ الهندى الأمريكى بحماقة « سيجاريللو ! » Cigarillo مما جعل الثعبان يتحرك . وحدق فارجاس فى

مساعده ، بينما أغمض آلان عينيه . وأشرت إلى الجميع بالابتعاد . اعتذر الهندى لما فعله وأخذ يمثل فى صمت حركات تدخين السيجار ! ثم رسم على الأرض كيسًا للنوم ، وإلى قطع الكيس من طرفه . وفهمنا فكرته ، فقد كان يرى أن نقوم بنفث الدخان من خلال ثقب فى كيس النوم لطرد الثعبان .

شرحت الأمر لآلان فى همس ، فأشار بالموافقة بتحريك عينيه إلى أعلى وأسفل ، حيث إنه خبير فى تصرفات مثل هذه الزواحف والحيوانات . وبدأ الهندى فى جمع بعض الأعشاب الرطبة ، وكومها بجانب النيران التى نعد عليها طعامنا . كما قام فارجاس بتفريغ بعض الأكياس لاستعمالها . ثم أحدثنا فتحة فى جانب كيس النوم ، بينما قام الهندى بنقل كيس ملىء بالدخان . وأشرت لهم أنه فى حالة تحرك الثعبان ، فعلينا أن نسرع للاختباء خلف ربوة قريبة تكسوها الأشجار . إذ إنه إذا خرج وأحس بوجودنا فسوف يعود مرة أخرى داخل الكيس ، أو يلدغ وجه آلان .

كان كيس الدخان دافئا ، عندما ضغطت فتحته أمام القطع ، وسرعان ما أحاط الدخان بوجه آلان ، وامتلأت عيناه بالدموع . وتحرك الثعبان فجأة ، وتلوى وانقبض ، فأسرعنا إلى الربوة . ولكن الدخان سرعان ما تلاشى ، واستقر الثعبان فى مكانه مرة أخرى . وسألت آلان بالاشارة إن كان علينا أن نكرر التجربة ، فرفض بإشارة من عينيه إلى اليمين واليسار .

وخطر لى أن أطلق النار على هذا الانتفاخ فوق بطن آلان ، ولكن عيناه اتسعتا فى ذعر ، وفهمت ما يعنيه . فكيف لى أن أعرف مكان رأس الثعبان تحت الكيس ؟ وقد رأيت بنفسى بعض الحيات مازالت تلدغ ضحاياها من الحيوانات الكبيرة برءوسها الرهيبة ، برغم أن جسمها الطويل قد تمزق إلى قطع .

ابتعد الهندى الأمريكى ، ثم عاد ومعه علبة بخاخ قوى لابادة الحشرات Bug - Bomb ، وفحصها آلان بعينيه ، وأومأ موافقًا بعينيه ، فلاشىء يستطيع مقاومة رذاذها القاتل . وأمسكت بالعلبة على مسافة أقل من المتر ،

وضغطت على الزر ، فتحرك الثعبان على الفور ، برغم أن الرذاذ لم يصل بعد إلى داخل الكيس . إذ بدا صفير البخاخ ، وكأنه فحيح ثعبان آخر ، ولم أجرؤ على تكرار التجربة .

كانت الببغاوات والقرود قد سكنت تمامًا عند إرتفاع الحرارة تدريجيًا . وعندما ارتفعت الشمس إلى السماء قرب الظهيرة ، اضطر آلان لغلق عينيه لتفادى العرق اللاذع . وتأملت سقيفة المطر المصنوعة من القماش المشمع فوق آلان ، حيث توفر له بعض الظل ، ولولاها لأصبح كيس النوم كالفرن الملتهب .

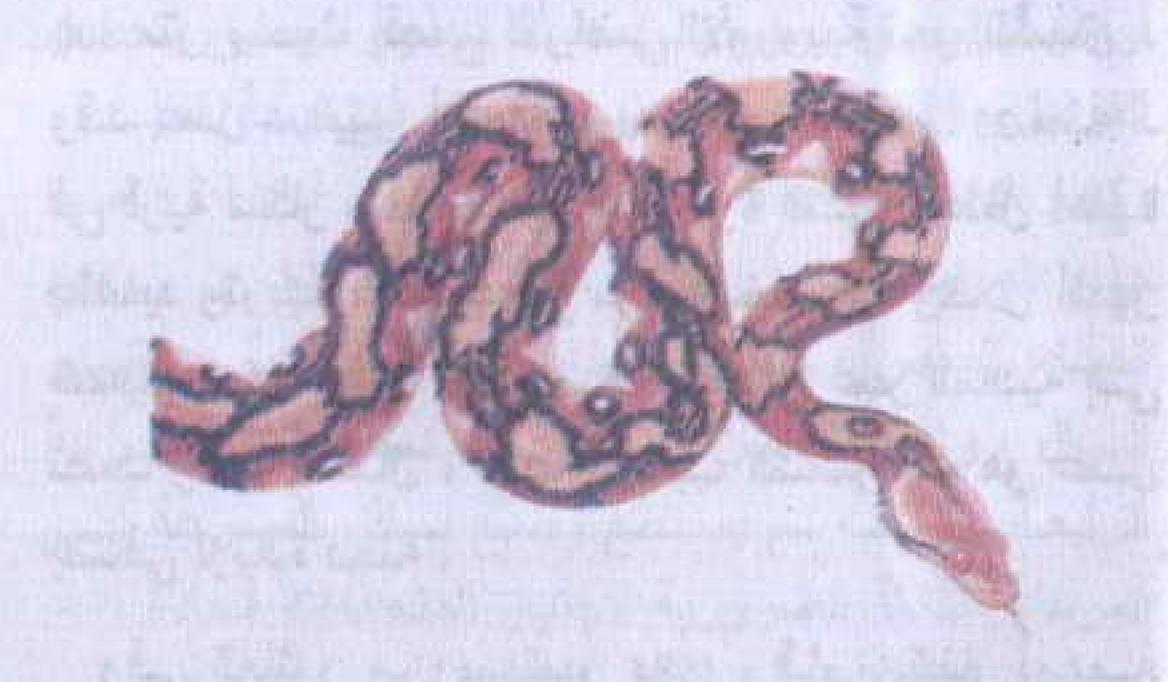
«فرن ملتهب» Blast Furnace ، هذا هو الحل المنشود . إذ تذكرت فجأة حديثا لآلان عن الحيات والثعابين ، وأن مثل هذه الزواحف ذات دماء باردة Cold - Blooded . وتعتمد حرارة جسمها على البيئة التى تعيش فيها ، فهى تسخن أو تبرد حسب الجو المحيط بها . وقضاء نصف ساعة تحت الشمس الاستوائية المباشرة كفيل بقتل أى ثعبان من الحرارة الشديدة .

أدركت على الفور ما ينبغى أن نفعله ، ولو كان المزيد من العذاب لآلان . فرفعت مشمع المطر من فوقه ، حيث أخذت أشعة الشمس الحارقة تضرب الكيس بلا رحمة ، وقد أصبح آلان مبللاً بالعرق وقد أغلق عينيه تماماً . تحرك الثعبان حركة بسيطة ، فتسللنا بسرعة وراء الأشجار ، وأخذنا نحدق عن بعد . بعد لحظات أطل رأس بنىَ بجوار وجنة آلان مباشرة ، وكان من نوع ثعابين الأشجار السامة Bushmaster .

تلفت رأس الثعبان إلى كل اتجاه لبضع ثوان ، ثم أخذ ينزلق من الكيس بجانب رأس آلان ، متجهاً إلى شجرة قريبة . وانطلقت بندقية فارجاس ذات الفوهتين ، فمزق الثعبان إلى ثلاثة أجزاء طويلة أخذت تتلوى لفترة .

خرج آلان من كيس نومه ، وتناول طعام فطوره ، ثم عاد إلى النوم فى فراش آخر مجدول . بينما أخذنا فى تنظيف المكان من الحشائش والأكمات الخطرة ، ونحن نتحدث ونضحك كما لم نفعل من قبل . وفى صباح اليوم

التالى طلبت من آلان أن يستريح ، بعد أن قبع الثعبان فوق بطنه لمدة 12 ساعة متصلة ، ولكنه أصر على متابعة العمل بنشاط . وعندما أدرت جهاز اللاسلكى للاتصال بقيادتنا فى بالبوا ، أبلغتهم أن كل شىء على مايرام ، بعد أن تمكن الثعبان من إعادة روح الفريق إلى مجموعتنا الصغيرة !



بتصرف مختصر عن المصدر :

Reader,s Digest Magazine, An Article Titled « The Snake in the Sleeping Bag » by Eyvor Smitter, Dated Oct . 1962 . Pleasantville, N.y. 10570, U.S.A.

٨ ـ تعطلت فرامل السيارة عند المنحدرات ..

[بقلم : إميلى دونوفان]

حدث ذلك فى جزيرة ماجيرويا Mageroya النائية فى أقصى شمال النرويج . ويقع فى شمال الجزيرة المشهورة ، النصب التذكارى لرأس الشمال Nord Cap ، على ارتفاع 300 متر ، حيث أقصى الأراضى الأوروبية نحو الشمال . وقد عمل ستينار أوفرفولد Stinar Overfold ـ 22 سنة ـ فى قرية سكار سفاج جنوب الجزيرة التى يشتغل أهلها بالصيد وتربية الأسماك فى مزارع خاصة . وخلال أشهر الصيف ، كان يقود أوتوبيسات السياح عبر المعدية إلى نصب رأس الشمال ، حيث لا تغيب الشمس ، وهو عمل إضافى لزيادة دخله .

وفى العاشر من سبتمبر 1984 ، قام ستينار بمهمة خاصة لنقل 19 طالبًا فى المدرسة الثانوية ، من بلدته وحتى ميناء هونيجز فراج ، على الشاطئ الجنوبى الشرقى للجزيرة ، لحضور إحدى الحفلات الموسيقية ثم إعادتهم مساءً . وانطلق ستينار يقود الباص الذى يزن 14 طنا

عبر الطريق الذى يعبر التضاريس الوعرة للجزيرة من جبال وهضاب ووديان ، شأنها شأن معظم أراضى النرويج .

عندما وصل إلى قمة هضبة عالية ، وأخذت السيارة فى الانحدار ، ضغط ستينار على الفرامل كى يحافظ على سرعته فى هذه المناطق الخطرة ، والتى لا تزيد على 35 كيلومترًا . ولكن لدهشته شعر بقدمه تلامس دواسة أرضية السيارة . لم يكن هناك تحذير سابق بتعطل الفرامل ، ولم يومض أى ضوء أحمر فى لوحة القيادة . وكرر الضغط عدة مرات ، ولكن دون فائدة ، ولما جذب الفرامل اليد ، وجدها معطلة هى الأخرى . ومع اندفاع الباص ، حاول ستينار كبح السرعة ، بتغيير البدال ، والانتقال من السرعة السادسة إلى السرعة الرابعة . ولكنه لم يستطع وضع ناقل السرعة إلى المرحلة الثالثة الضرورية لاجتياز المنعطفات الحادة .

كانت هناك هضبة إلى يمينه بزاوية 45 درجة ، ولكنها تنتهى إلى واد صخرى عمقه 200 متر . وإلى يساره بعض الثغرات فى السياج المنحدر ، والتى تؤدى إلى سهلين منبسطين ، قد يسمحان بتوقف آمن . أما بعد ذلك فسلسلة من الوديان الخطرة والالتفافات الحادة .

حاول ستينار أن يخفى ذعره ، وهو يقول بصوت هادئ : « هناك مشكلة فى السيارة . عليكم جميعًا الانحناء ووضع رءوسكم بين ركبكم ، وتمسكوا بأماكنكم ! » . وعندما أوشك أن ينحرف إلى يساره نحو السهل المنبسط بما فيه من مستنقعات ، اعترضته شاحنة كبيرة تتقدم ببطء على الهضبة من الاتجاه الآخر . وانحرف جانبًا كى تمر الشاحنة ، متحاشيًا اصطدامًا مباشرًا ، وهكذا ضاعت الفرصة الأولى .

لمح ستينار السهل التالى بمستنقعاته ، ولكن طريقه انغلق فجأة بسيارة مسرعة من خلفه . ومنذ تلك اللحظة ازداد الطريق انحدارًا ، وازدادت السرعة بطريقة مزعجة ، كما لم يعد هناك طريقة آمنة لوقف اندفاع الباص ، أو إيقافه تمامًا .

انحرف ستينار بسيارته إلى الجانب الأيمن ، للاحتكاك بالسياج المعدنى للحماية فى الطريق ، لعل الضغط يخفف من سرعة الباص . وتطايرت الشرارات بطول الجانب الأيمن ، فيما نجحت المناورة فى تخفيف السرعة . ولكنها ما زالت كبيرة ، إلى الحد الذى لا يسمح بتخطى المنحنيات الخطرة القادمة .



انطلق الباص يحمل التلاميذ إلى المدينة المجاورة عبر الجبال والوديان الخطرة ، لحضور حفل موسيقى .



بصوت هادئ ، طلب « ستينار » من التلاميذ ، خفض رءوسهم بين ركبهم ، لوجود خلل فى السيارة .

وفكر ستينار بسرعة ، وكان عليه أن يحافظ على ركابه من الموت المحقق ، واتخذ قراره بسرعة . كانت السيارة منطلقة بسرعة 60 كيلومترًا فى الساعة ، حين اجتاز الممر الضيق المعاكس إلى يساره ، لتصطدم السيارة بالجانب الصخرى الصلب للطريق ، محدثة صوتًا هادرًا كالرعد . وفى الحال تجعدت مقدمة الباص كورق الكارتون . وتراجع مقعد ستينارإلى الوراء حتى الصف الثالث من المقاعد . ولم يصدق ستينار أنه مازال حيًا ، وقد خُدرت ساقاه وعلقت قدماه فى الحطام الحديدى . ونظر إلى الوراء ، وبدا له أن الجميع بخير .

توقفت أول سيارة مرت بموقع الحادث ، ولحسن الحظ كانت مزودة بتليفون متنقل خاص بالسيارات ، فاتصل قائدها بمركز (البوليس) فى ميناء هونيجز فراج ، الذى يقع على بعد 20 كيلومترًا جنوب « رأس الشمال » . وخلال دقائق وصل إلى المكان رئيس الشرطة جوران لارسون Goran Larsson والدكتور أولسون فيك Olsson Feck طبيب المقاطعة ، وسيارات الإسعاف ووحدات الإنقاذ .

كان المنظر مروعًا للجميع ، وقد سحقت مقدمة السيارة كعلبة معدنية ، وانسابت المياه إليها من جدول فوق

الصخور . ووسط تلك الفوضى جلس ستينار باهت اللون هادئًا . وفحص الطبيب أولسون التلاميذ المصابين ، وتبين له أن تسعة منهم يحتاجون إلى عناية ، فنقلتهم سيارات الإسعاف إلى مستشفى الميناء . كما نقل ثلاثة آخرون بطائرات الهليكوبتر إلى مستشفى مدينة هامرفيست نحو الجنوب Hammerfest .

وعندما فحص الدكتور أولسون إصابات ستينار ، تبين له وجود تمزق بإحدى رئتيه ، وكسور عديدة فى رجليه وقدميه ، كما « انحشرت » ساقه اليسرى بين الحطام إلى ما تحت ركبته . وكان نبضه سريعًا وضعيفًا ، حيث فقد الكثير من دمائه ، وأصبح فى خطر شديد . وحقنه الطبيب بالمضادات الحيوية والمورفين Morphine لتخفيف آلامه . وغطاه ببطانية حتى لا تنخفض حرارته .

حاول رجال الإنقاذ سحب ستينار من بين الحطام دون جدوى ، ولم يجرؤ أحد منهم على استعمال آلات القطع بالأوكسجين لتسرب الوقود فى المنطقة . لذلك قام الرجال بقطع الكتل المتشابكة بالمطارق والمنشار الكهربائى . وفى أثناء ذلك كان ستينار هادئًا فى مكانه دون تذمر أو خوف .

وبعد عمل متواصل لمدة ساعة ونصف الساعة ، حاول رجال الإنقاذ سحب ستينار المحتجز ، بلا فائدة . ووصلت جرافتان ضخمتان للموقع ، وسحبت إحداهما السيارة بعيدًا عن الحاجز الصخرى . ثم أخذت الجرافتان تشدان بالسلاسل الحديدية ، مقدمة ومؤخرة الباص فى اتجاهين معاكسين ، أملا فى أن تفلت ساق ستينار اليسرى .

أدرك الدكتور أولسون ، أنه إذا لم تنجح تلك المحاولات ، فقد يموت ستينار من النزف المستمر أو هبوط الحرارة . وأخبره قائلا : « إنها حياتك أو ساقك . أريد إذنا منك لبترها ! » . وأجابه ستينار « إذا كنت مضطرًا لذلك فافعل . ولكنى أرجو أن تقطع أقل ما يمكن منها » .

لم يكن لدى الطبيب مناشير طبية ، فاستخدم سكينًا جديدة ، وبعد حقن ساق ستينار اليسرى بمزيد من المورفين ، ثبت ضواغط متعددة لغلق الأوعية الدموية ، وأخذ يقطع العظام والأنسجة المسحوقة . وبرغم العذاب والآلام ، ظل ستينار محافظًا على هدوئه . ثم نقل فى سيارة إسعاف إلى طائرة هليكوبتر فى انتظاره إلى مستشفى هامرفيست . وهناك تلقى عناية طبية كبيرة ، ولكن كان هناك ضرورة لبتر ساقه اليمنى أيضًا بعد أن التهبت بشدة . ولذلك نقل إلى مستشفى بيرجين Bergen فى جنوب النرويج .

استخدم الجراحون الجراحة المجهرية لإجراء سلسلة من العمليات فى وقت واحد ، استغرقت حوالى 11 ساعة متصلة . ثم خضع بعد ذلك لجراحات أخرى مختلفة ، وركبت أقدام صناعية . وبعد ثلاثة أشهر من الحادث ، أى فى منتصف ديسمبر 1984 ، وقف ستينار على قدميه لأول مرة ، وعلى وجهه ابتسامة عريضة . ثم بدأ العلاج الطبيعى لأشهر أخرى .

أصبح ستينار بطلاً وطنيًا فى النرويج وجميع الدول الاسكندينافية ، وأوروبا ، لإنقاذه حياة 19 طالبًا فى بداية حياتهم . وأصبح رجل العام 1984 فى النرويج ، حيث ظهر فى العديد من البرامج التيلفزيونية المختلفة . وتلقى الكثير من التكريم والاحتفاء من هيئات ومنظمات دولية مختلفة .

فى أثناء تواجد ستينار بعد ذلك فى مستشفى هامرفيست ، التقى بالطالبة فيولا سفينسون Viola Svensson ، التى كانت تتلقى العلاج أيضًا فى حادث سيارة . ونشأت بينهما عاطفة رقيقة ، اتفقا بعدها على الزواج ، بعد انتهاء دراستها . ويعمل ستينار حاليًا فى شركة للشحن ، ويسير بصورة طبيعية سوى من عرج بسيط غير ظاهر .

بتصرف مختصر عن المصدر :

Der Spiegel Magazine, An Article by Emily Donovan, Dated June 1986 .
Brandst Wiete 19/20457 Hamburg, Germany.

٩ ـ فقد الطيار وعيه فى القاذفة ..

[بقلم : شيللون كيلى]

كان ذلك فى مساء يوم من أيام شهر أبريل 1982 ، حينما انطلقت قاذفة قنابل نفاثة من طراز F-4 فانتوم Phantom ، تابعة للسرب الجوى رقم 124 حرس قومى ، من أحد المطارات الحربية بولاية ايداهو Idaho الأمريكية . كانت المهمة روتينية للتدريب على الطيران على ارتفاع منخفض ليلاً ، فوق منتصف ولاية أوريجون ثم العودة . وكان الاسم الكودى للطائرة هو فانجو ـ Fango 45 .

كان الطيار جريج إنجيلبريت Greg Engelbreit – 35 سنة ـ فى مقدمة كابينة القيادة ، وخلفه مباشرة الملاح فريد ويلسون Fred Wilson – 32 سنة ـ ونظرًا لأن السرب الجوى تابع للحرس القومى الخاص بكل ولاية أمريكية ، فإن التابعين له يستدعون من أعمالهم المدنية عدة أسابيع كل سنة للتدريب وتلقى المحاضرات . وعلى ذلك كان الطيار جريج مهندسًا للمشروعات ، أما الملاح فريد فكان مديرًا للخدمات فى احدى شركات البترول .

وكان الملاح فريد يمكنه من موقعه خلف الطيار جريج ، أن يتابع على لوحة القيادة المزدوجة أمامه ما يقوم به الطيار ، عدا أجهزة الهبوط والإقلاع وبعض المعدات الأخرى التى كانت فى المنطقة الأمامية من الكابينة ، باعتبارها من صميم عمل الطيار . أقلعت القاذفة من ممر قاعدة بواز جووين Bois`s Gowen بولاية إيداهو . وبعد لحظات كانوا يحلقون فوق جبل كينج ، بسرعة أقل من سرعة الصوت .

فجأة اصطدمت بجعة مهاجرة ـ يصل وزنها إلى 13 كيلوجرامًا ـ بغطاء كابينة القيادة Canopy وحطمتها تمامًا . وانتشرت الشظايا الزجاجية والبلاستيكية فى وجه الطيار كالشفرات الحادة . وفقد جريج وعيه ، وتدلت ذراعه اليسرى بما أصابها من شظايا قاطعة . بينما أخذت الرياح العارمة تعصف بالكابينة .

لم يصب الملاح فريد ، حيث إنه خلف الطيار ، ولكن الطائرة بدأت تفقد توازنها وتهبط لأسفل كى تصطدم بقمم الجبال . وفى لحظات بدأ الملاح فريد يتحكم فى الطائرة ، بما لديه من أدوات ومفاتيح على لوحة القيادة

المزدوجة أمامه . ثم بدأ ينادى قاعدته على موجة الطوارئ « فانجو ـ 45 ينادى ماى داى Mayday . موقعنا 265 درجة غرب قاعدة بواز . الارتفاع 300 متر وفى صعود . طائر حطم الكابينة . ماى داى ! » وأخذ يكرر ذلك مرات . ثم حول جهاز الراديو إلى الاتصال الداخلى ، وأخذ ينادى زميله الطيار أمامه دون جدوى ولم يكن يستطيع أن يرى أمامه إلى مساحة ضئيلة على الجانبين . بينما الهواء العاصف يجتاح الكابينة .

أخذ فريد يفكر فى طريقة للهبوط بالقاذفة ، ولكن لوحة القيادة أمامه تفتقد إلى ثلاثة أشياء مهمة للهبوط، وهى قلابات الأجنحة Wing Flaps وأجهزة إنزال العجلات Landing Gear ، وخطاف التعليق Arresting Hook الخاص بالهبوط عند الطوارئ . وكل هذه الأجهزة الثلاثة المهمة للهبوط فى القسم الأمامى من الكابينة ، بجانب الطيار . وبدونها يستحيل هبوط القاذفة التى يصل وزنها 20 طناً .

قام فريد بتخفيض سرعة الطائرة ، لخفض سرعة الرياح ، ثم ارتفع إلى أعلى من مستوى الجبال . وأخذ ينادى مرة أخرى فى جهاز اللاسلكى مقر قاعدته ، ثم ينادى الطيار ولم يكن هناك رد . كانت الطائرة



قاذفة قنابل من طراز تاورنادو . يقودها طاقم من الطيار والملاح .

تحلق فى ذلك الوقت فى الظلام الدامس فوق جبال أوهى Owyhee غرب قاعدة بواز الحربية . وعندما وصل إلى ارتفاع 1524 مترًا ، جعل الطائرة تحلق فى طيران مستو ، بسرعة 522 كيلومترًا فى الساعة . حيث إن مثل هذه السرعة المنخفضة ـ بالنسبة لطائرة نفاثة ـ يمكنها تقليل استهلاك الوقود الذى يحتاج إليه بشدة لزيادة مدة تحليقه عدة ساعات حتى يجد مخرجًا من الورطة .

لم يكن فى إمكانه ترك الطائرة والقذف بمقعده والهبوط بالبراشوت ، حيث أن مظلة الطيار جريج النايلون قد تمزقت تمامًا من الشظايا ، ولم تعد تصلح للاستخدام . ولم يكن فى إمكانه ترك الطيار لمصيره فى الطائرة حيث إنه متزوج وله طفلان ، ولكنه أيضًا متزوج وله أربعة أطفال . وأخذ فريد يبتهل إلى اللَّه أن يساعده فى محنته . وأخذ ينادى زميله بالميكروفون الداخلى مرات ، وفجأة لاحظ حركة بسيطة فى الجزء الأمامى من الكابينة Cockpit واشتعل الحماس بالملاح ، وأخذ ينادى زميله كى ينزل مجموعة العجلات ويخفض قلابات الأجنحة .

بعد عدة دقائق ، أشارت الأضواء أمام لوحته أن مجموعة

العجلات قد أنزلت ، وأن قلابات الأجنحة لأسفل تمهيدًا للهبوط . وعلى الفور انخفضت السرعة . وأخذ فريد يهتف فى سعادة : « لقد فعلتها يا جريج ! شكرًا للَّه » ولكن جريج عاد مرة أخرى إلى حالة الإغماء العميق .

بعد دقائق ، جاءه صوت هادئ من غرفة التحكم فى الطيران المدنى فى المقاطعة : « فانجو ـ 45 ، لقد ظهرت على شاشة الرادار . ما هى مشكلتك ؟ » فذكر له فريد المشكلة باختصار . ومرت لحظة صمت رهيبة ، ثم قال له « دقائق وسوف نتصل بك ! » . مرت خمس دقائق أخرى ثم جاءه صوت من القاذفة روجر ـ Roger 44 ، وهى فانتوم أيضًا يقودها الطيار بيل ميللر Bill Miller ، والملاح مايكل ماكجراث Michael Mcgrath ، وقال له إنه قد سمع نداءه وإنه سوف يقوده إلى أقرب قاعدة جوية للهبوط فيها . وأشار عليه أن يتبع جناح طائرته .

اختار طيار روجر ـ 44 قاعدة جبل هوم Home ، على بعد 60 كيلومترًا من قاعدة بواز ، حيث إن لها ممرًا طويلاً ، وتجهيزات حديثة للطوارئ . وأخذ الطيار المعاون فى الهبوط إلى أسفل ، مع تخفيض السرعة وفريد يفعل مثله . ولكن المخاطرة كانت ما تزال كبيرة دون استخدام خطاف التعليق .

إذ إن الطائرة سوف تهبط فوق الممر الطويل ، ومن المحتمل أن تنزلق إلى أى جانب وتنفجر .. وكان من الواضح أن فريد يحتاج لمعجزة أخرى وبسرعة .

انخفض ارتفاع الطائرة إلى 760 مترًا ، ثم 540 مترًا ، بينما كان الطيار بيل يشجعه ، ويعطيه بعض النصائح والتعليمات للهبوط الآمن . وفى نفس الوقت أخذ فريد يحث زميله الطيار الفاقد الوعى ، أن ينزل خطاف التعليق .

وفجأة أضاءت أضواء أمامه ، قد تشير إلى إخفاق ميكانيكى ، أو عطل طارئ . وكان عليه فى هذه الحالة أن يترك القاذفة فى الحال ويقفز بمقعده . ولكن فريد نادى الطيار بيل فى القاذفة الأخرى ، وبين له ما يعانيه . فاقترب بيل بطائرته وشاهد الخطاف وقد تدلى من قاذفة فريد ، ثم أخبره بذلك .

بدأت عمليات الاقتراب النهائية من ممر الهبوط بسرعة 351 كيلومترًا فى الساعة ولمست الإطارات بداية الممر . وبعد قليل اشتبك الخطاف بحبل الطوارئ الممتد بعرض الممر ، وتوقفت القاذفة فى النهاية . بينما تابع الطيار بيل طريقه وارتفع عاليًا إلى قاعدته الجوية.

رفع فريد غطاء كابينته ، وأخذ يكلم جريج : « لقد فعلناها ، لقد هبطنا سالمين ، نحمد اللّه » . ونقل جريج بسرعة إلى المستشفى ، ويصحبه زميله إلى فريد : وهناك أفاق من غيبوبته ، وأخذ يسأل فريد ما الذى حدث ؟ كانت إصابة جريج شديدة ، حتى إن الأطباء لم يكونوا متأكدين من أنه سوف يعيش . ولكن بعد الجراحة التى استغرقت عدة ساعات ، وعمليات نقل الدم ، ارتفعت آمالهم فى حياته مرة أخرى .

ويتابع فريد تحليقه وتدريبه كملاح مع طيار آخر ، فى حين ظل جريج لفترة أخرى فى المستشفى لتلقى العلاج لتحريك ذراعه اليسرى مرة أخرى . وقد حصل فريد ويلسون على ميدالية الطيران المتميز ، وهى الثانية فى الأهمية التى تمنح فى أثناء فترات السلم .

ولكن اللغز يظل قائمًا ، أن الطيار جريج لم يكن قادرًا أن يرى أو يسمع فى أثناء غيبوبته . كما أنه لا يتذكر شيئًا على الإطلاق لما حدث . فمن إذن الذى أنزل جهاز العجلات ، وخفض قلابات الأجنحة ، ثم أنزل بعد ذلك

خطاف التعليق ؟ خاصة أن جهاز خفض القلابات يقع على الجانب الأيسر منه ، وذراعه اليسرى عاجزة عن فعل أى شىء ؟ لا أحد يعلم !



بتصرف مختصر عن المصدر :

Professional Pilot Magazine, An Article Dated March 1983, by Sheldon Kelly .

Published by Washington National Airport .

Washington . D.c. 20001, U.S.A.

١٠ ـ كادت الدوامة أن تقتله ..

[بقلم : ويليام ديرفيلد]

قرابة ظهيرة أحد أيام شهر نوفمبر 1991 ، انتهى نيجيل لومانجينو Nigel Lomangino - 50 سنة من تجهيز السيارات والشاحنات نصف النقل والجرارات فى مزرعة العائلة ، وإعدادها لفصل الشتاء ، وقد تصبب بالعرق . وبدا له هذا العمل سخيفًا فى هذا اليوم الدافئ ، إلا أن نشرة الأحوال الجوية توقعت موجة من الصقيع والعواصف الثلجية فى منتصف الأسبوع التالى ، وقرر أنه من الأفضل إعداد سيارات المزرعة لهذه الموجة ، بالزيوت والسوائل المقاومة للتجمد Antifreeze .

وكان نيجيل قد استقال من عمله كمدرس فى إحدى المدارس الثانوية منذ فترة ، بعد وفاة والده ، للاهتمام بشئون مزرعة العائلة ، التى تبلغ مساحتها 80 هكتارًا Hectare ـ الهكتار يساوى 2.38 فدان أو 2.471 آكر Acre ـ جنوب نهر موهوك Mohawk ، فى شرق ولاية نيويورك الأمريكية .

بعد ذلك ، انطلق نيجيل مع كلبه لاكى Lucky عبر الحقول ،

لتفقد البحيرات الصغيرة الثلاث ، المتصلة ببعضها ، والتى تروى المزرعة من نهر موهوك . وكان قد لاحظ فى فصل الصيف مجموعة من القنادس أو كلب الماء Beavor ، وقد انهمكت فى الأعشاب والأغصان ، فساوره القلق بإمكانية انسداد مصارف المياه الزائدة ، عبر أنبوب يصل قطره إلى حوالى 75 سنتيمترًا إلى مجرى أسفل سد ترابى . حيث إن هذه الحيوانات الفرائية الصغيرة ، مشهورة ببناء السدود عبر المجارى المائية للحصول على طعامها من الأسماك .

ولاحظ نيجيل صفاء مياه البحيرتين الأوليين دون وجود سدود ، ولكن مياه البحيرة الثالثة كانت تفيض من أعلى السد الترابى ، مما شكل ضغطًا كبيرًا عليه ، ولاشك أن أنبوب تصريف المياه الزائدة مسدود ، وكان عليه تنظيفه قبل انهيار السد الترابى ، وارتباك نظام رى المزرعة .

عاد سيرًا على الأقدام إلى مخزن المزرعة ، وحمّل سيارة البيك آب Pick-up ببعض الأدوات ، وقارب صغير ذى مجدافين ، وعاد إلى البحيرة الثالثة ، حيث ترك

الكلب قرب السيارة ، وجدف حتى ما بدا له أنه كومة من الأغصان المتراكمة قرب المكان الذى تفيض منه المياه ، ولكنه وجد الكومة أكبر مما توقع ، وحاول بكل جهده دفع كومة الأغصان بعيدًا ، لتخفيف الضغط على السد ، وبعد فترة تراءى له على سطح الماء فوهة أنبوب على شكل قمع ، فعاد مطمئنًا إلى الضفة .

ما إن ابتعد لمسافة 20 مترًا ، حتى سمع صوت امتصاص رهيب ، وشاهد أوراق الأشجار والأغصان الطافية وهى تمر بسرعة بجوار قاربه إلى الخلف ، فالتفت وراءه ، فشاهد الأنبوب يبتلع كومة كبيرة من المخلفات الطافية ، وتحولت الفوهة خلال ثوان إلى دوامة هادرة Swirl دائرية ، ولاحظ كلبه يثب باهتياج على حافة البحيرة ، فصرخ فيه أن يبقى كما هو ، ووجد قاربه يتراجع إلى الوراء ، ثم أخذ يدور مع الدوامة المائية Whirlpool قرب الفوهة السوداء ، فاستجمع قواه وأخذ يجدف بسرعة ، ولكنه لم يبتعد سوى خمسة أمتار حتى وجد القارب يتراجع نحو الفوهة السوداء للدوامة .

سيطر الذعر على نيجيل ، فقفز إلى الماء محاولاً الابتعاد سباحة ، ولكن التيار العارم جذبه بشدة نحو



أخذ « نيجيل » قاربه وتوجه إلى البحيرة الثالثة ، لإصلاح أنبوب التصريف المسدود ، وإزالة أكوام الأغصان المتراكمة .



ما إن ابتعد « نيجيل » بقاربه قليلاً حتى سمع صوت امتصاص رهيب . وكانت هناك دوامة مائية هائلة ذات فوهة سوداء ، حيث ابتلعته فيما بعد .

الفوهة ، وخلال لحظات وجد نفسه مسحوبًا بقدميه عبر الأنبوب ، وقبل أن تبتلع الفوهة جسده بالكامل ، فرد ذراعيه ، واصطدمتا بفوهة الأنبوب ، وأخذ يسحب ساقيه ببطء من الأنبوب . ولكنه ظل مثبتًا فى مكانه بقوة الامتصاص الرهيبة ، ووجهه إلى أسفل ، وقد ثبت كفيه على حافة الأنبوب .

ظل نيجيل فى مكانه ، وهو مقلوب رأسًا على عقب ، والمياه السريعة ترتطم به ، وأخذ يمنى نفسه على الثبات ، حتى ينخفض منسوب المياه ، ويخف الضغط . ولكن الحافة الأسمنتية انكسرت فجأة ، فانطرح على جانبه فى المياه ، ولكن سرعان ما دار مع الدوامة وسحبه التيار هذه المرة من قدميه ، ووجد نفسه يغطس فى الجانب العمودى من الأنبوب الذى يصل طوله إلى ثلاثة أمتار ، حتى وصل إلى قاع الجزء العمودى ، ولكن الجانب الأفقى من الأنبوب ، الذى يمتد تحت السد الترابى وجذوع الأشجار يصل طوله إلى أكثر من ثمانية أمتار .

كان نيجيل واقفًا داخل الجانب العمودى من الأنبوب ، والمياه تتدفق بسرعة من حوله ، ومع ذلك حاول الصعود

عكس التيار الهادر بقوته العضلية ، حيث ثبت قدميه على الجانب الداخلى المقابل له ـ الذى كان من الصلب المموج ـ وقد أسند ظهره إلى جدار الأنبوب ، ولكن ظهره تسلخ من الاحتكاك ، كما انفلتت قدمه ، فارتطم مرة أخرى بقاع الأنبوب الرأسى .

شعر نيجيل بقوة هائلة تسحبه نحو الجانب الأفقى من الأنبوب ، فأخذ يصارع بكل قواه ، وقد انتابه الهلع ، خوفًا من أن يبتلعه الأنبوب الطويل تحت السد ، وأخذ يدعو الله أن يساعده فى اجتياز هذا الأنبوب ، إن كان لابد من ذلك ، وشعر نيجيل بقدميه تنزلقان تحت الضغط الذى لا يحتمل ، بينما التيار البارد يضرب رأسه وكتفيه وجسمه بعنف .

حاول نيجيل المقاومة ، وضغط بيديه على جدار الأنبوب أمامه ، وقد أسند ظهره إلى الجانب الآخر ، ولكن قدميه انفلتتا ، وأخذ فى الانزلاق داخل الأنبوب الأفقى ، والمياه تدفعه بقوة ، بينما جسمه يرتطم بجانبى الأنبوب ، حتى كادت رئتاه تنفجران ، وبعد لحظات قذفته المياه إلى حافة صخرية تعلو بضعة أمتار عن فتحة المجرى ، وسط سيل جارف من المياه يصل عمقه إلى نصف المتر .

لم يصدق نيجيل أنه ما زال حيًا ، بعد أن عبر الأنبوب الرأسى وامتداده الأفقى بطوله ، تحت ضغط الماء الهائل ، وسار متعثرًا ، وهو يستند إلى الصخور حتى حافة المياه ، وعندما حاول الإمساك بجذع شجرة ، أدرك أن شيئًا ما قد حدث لكتفه ، فرفع ذراعيه ، ودار بجسمه ، وانحنى بجذعه ، والتوى برأسه ، محاولاً إعادة المفاصل والضلوع والعظام إلى أماكنها ، ونجح فى ذلك إلى حد ما ، وأصبح قادرًا على فتح قبضة يده اليمنى المصابة .

وعندما حاول الجلوس قليلاً ، ارتبك بشدة حينما شاهد عظم فخذه الأيسر وقد ظهر من جلده فوق ركبته بالضبط ، كانت العظام بيضاء اللون ، وأطرافها مشطوفه ، ولم يكن قد شعر بكسر فى عظامه ، ولابد أن المياه الباردة قد خدرت أعصابه ، وأيقن فى تلك اللحظة أنه لن يتمكن من العودة سيرًا على الأقدام إلى المزرعة .

كانت هناك غيوم رمادية بدأت تحجب أشعة الشمس ، وبدأت درجة الحرارة فى الهبوط بسرعة ، وكان على نيجيل التفكير فى طريقه للخروج من هذا المأزق ، واستجمع

شجاعته ، وخرج من المياه الضحلة مستعينًا بيده اليسرى السليمة ، وهو يحاول أن يكتم آلامه المتصاعدة ، إلى أن وصل إلى أرض جافة ، وتوقف قليلاً ليمسح التراب وأوراق الأشجار عن جرحه ، والتقط غصنًا قويًا فى طريقه ، وربطه بساقه اليسرى كجبيرة بشرائط من قميصه ، ثم أخذ يتسلق التل ببطء شديد ، وقد كاد أن يغمى عليه .

كان تخطى الأخاديد والأحجار الكبيرة مسألة شاقة أكثر إيلامًا . ولكن نيجيل واصل الطريق برغم التقدم البطىء والآلام التى لا تحتمل ، فلقد أخرجه الله حيًا من الأنبوب ، وعليه أن يتكفل بالباقى ويساعد نفسه ، واقتحم الأجمات الشائكة ، متحملاً وخزها ، حيث لم يكن ليمكنه أن يدور حولها بساقه المكسورة .

بعد حوالى الساعة كان قد وصل إلى أعلى التل ، وقطع حوالى 50 مترًا ، وخشى أن يفقد الوعى لما نزفه من دماء ، وحاول الوصول إلى سيارته البيك آب على بعد 60 مترًا أخرى فى الحقل المنبسط ، ليقودها إلى منزله ويطلب النجدة بالتليفون ، وتابع تقدمه ببطء إلى أن وصل إلى السيارة بعد 20 دقيقة أخرى ، ولكنه تذكر أن السيارة ليست أوتوماتيكية ، مما يعنى أنه لن يستطيع قيادتها بكتف مخلوعة وساق مكسورة .

كان فى الجهة الأخرى من الحقل سور حجرى ، خلفه طريق من الحصى ، فتابع زحفه حتى وصل إلى السور بعد نصف ساعة أخرى ، واستطاع أن ينفذ منه من خلال فتحه صغيرة إلى الطريق ، ولاح له بيت المزرعة قريبًا على بعد 70 مترًا أخرى ، فجلس قليلاً فوق صخرة ناتئة كى يستريح وهو يغالب الدوار ، حينما لمح سيارة صغيرة على تل قريب ، ولم يصرخ طالبًا النجدة ، إذ إنهم شاهدوه واتجهوا نحوه ببطء ، ثم توقفت السيارة بالقرب منه وقفز منها رجلان .

كان باتريك Patrick ، وصديقه روبرت Robert فى رحلة لصيد الطيور ، وفى طريق عودتهما قرب الثالثة عصرًا ، مرا بسيارة نيجيل فلاحظا أن بابها مفتوحًا ، ثم شاهدا القارب المنقلب عائمًا قرب أنبوب التصريف ، فعادا بسيارتهما عبر طريق الحصى ، حيث شاهدا نيجيل يلوح لهما بيد واحدة .

كانت الحرارة قد انخفضت إلى خمس درجات مئوية ، وكان نيجيل شاحبًا ويرتجف من البرد ، وقد تمزق صدره وذراعاه وقدماه وامتلأت بالجروح ، فلفه باتريك بسترته .

قام الأطباء فى مستشفى مدينة ألبانى Albany بعلاج نيجيل من الصدمة ، وأمدوه بالدماء ، وقوموا كتفه ، وجبروا عظام فخذه المحطمة ، وشملوه بالرعاية الطبية الشاملة ، ويقول الدكتور بول كوينج Paul Quing - الذى أشرف على علاجه - « إن تجربة نيجيل غريبة بالفعل ، وهى أقوى صراع للبقاء والتمسك بالحياة صادفه منذ عشر سنوات ، كأنه ولد من جديد » .

وبعد حوالى أسبوعين خرج نيجيل من المستشفى ، ولكنه لم يتعاف تمامًا إلا بعد ستة أشهر أخرى ، ويقول نيجيل إنه ليس بطلاً ، فقد حاول التمسك بالحياة ، وقد منحه الله تلك الفرصة ، وسوف يحين دوره ليعطى شيئًا فى المقابل ويساعد الآخرين من حوله .

بتصرف مختصر عن المصدر :

Montreal Star Magazine, An Article by William Dirfield, Dated June 1992 .

Published by The New york Times Co., 229 West 43 Street New york, N.y. 10036, U.S.A.

١١ـ لحظات وتسقط الرافعة العملاقة ..

[بقلم : ريتشارد شنايدر]

أخذ المارة فى الشارع الذى يمر أمام قاعة كارنيجى Carnegie Hall فى مدينة نيويورك ، يحدقون فى دهشة إلى أحد أطول الأشياء المتحركة فى العالم ، وكان ذلك عصر يوم الثامن من سبتمبر 1984 ، حينما بدأت رافعة «لودر» إنشاءات صفراء اللون ، تزن 200 طن ، فى تحريك ذراعها الطويلة التى تصل إلى 75 مترًا ، وإلى مستوى الطابق العشرين فى مبنى مجاور ، من الشارع الغربى السابع والخمسين ، وتقدمت جنازير الرافعة إلى حافة حفرة عميقة واسعة ، سوف تتحول مع الوقت إلى ناطحة سحاب تضم 68 طابقًا .

كان توم أوبراين Tom Obrien - 45 سنة - جالسًا فى غرفة التحكم المعدنية لتشغيل الرافعة الضخمة ، وقد عهد إليه بذلك ، باعتباره أفضل الفنيين العاملين فى مثل هذه الآلات ، وكان عليه أن يرفع قرصًا دائريًا من الصلب إلى برج جانبى من الأسمنت المسلح ، كى يشكل قاعدة صلبة لرافعة ثابتة أصغر لإتمام عملية البناء ، وكان توم قد شاهد خلال عمله على هذه الآلات حادثتين رهيبتين بسبب الحمولة ، لذلك كان يعطى اهتمامًا كبيرًا لوزن الحمولة .

فى الساعة الثالثة عصرًا ، استعد خمسة رجال فوق البرج الخرسانى لبدء العمل ، فأخذ ثلاثة رجال على الأرض فى ربط القرص الفولاذى بالكابلات القوية إلى نهاية ذراع الونش الضخم ، عندما تم ذلك بدأ توم فى إدارة المحركات التى علا صوتها ، بينما أخذ القرص الفولاذى فى الارتفاع عن الأرض ، حتى ارتفع إلى عنان السماء ، ثم أدار ذراع الرافعة نحو اليسار حيث البرج الخرسانى ، وكان أحد المهندسين فى الموقع قد أساء التقدير ، وقال له إن وزن القرص يصل إلى 17 طنًا ، بينما كان وزنه الحقيقى 24 طنًا .

نظر الرجال الخمسة إلى القرص وهو يحلق فوق رءوسهم ، وظنوا أن الحمولة تهبط نحوهم ، ولكنها كانت فى الحقيقة تسقط فوقهم ! كان توم أول من أدرك أن هناك خطأ ما ، إذ بدأت محركات الرافعة تزمجر بعنف ، ولاحظ أن ذراع الرافعة تنحرف ببطء إلى الأمام ، وإذا استمرت الحركة على هذا النحو ، فسوف تسقط الحمولة الثقيلة فوق الرجال الخمسة على قمة البرج الخرسانى ، ثم تنهار الذراع الطويلة بعد ذلك على المبانى المجاورة .

تابعت الرافعة انحرافها ، وشعر توم أنه يقف على

أرض متحركة فى أثناء زلزال ، أو فى سفينة تتقاذفها الأمواج ، ولابد أن جنازير اللودر لم يعد ثابتًا على الأرض . وكان كل هاتف فى أعماق توم يحثه على القفز من باب غرفة التحكم ، لينجوا بنفسه . ولكن صورة المبانى المجاورة المنهارة على المارة والسيارت فى الشارع ، ارتسمت أمام عينيه فى تلك اللحظة ، وقرر فى الحال عدم القفز طلبًا للنجاة ، محاولاً تجنب المأساة بأى حال من الأحوال .

كان مساعد توم على الأرض يقف مذهولاً ، وهو يرى الخطر الماثل ، وهتف روى ليدجر Roy Ledger بذعر «يا إلهى ! إنها تسقط ! » بينما أخذ المهندسون والعمال يقفزون يمينا ويسرًا فى هلع ، بعيدًا عن الكارثة المحتملة والوشيكة الوقوع .

أخذ توم يحرك العتالات والدواسات بسرعة ، لتوجية الحمولة نحو الحفرة الواسعة التى تشكل مستقبلاً أساس البناء ، وبعد لحظات أحس بقوة هائلة لدفعه للسقوط ، ولكنه شعر باطمئنان وهو يرى القرص الفولاذى وهو يهوى إلى الحفرة تمامًا كما أراد ، ثم تبعه ذراع الرافعة الطويلة ، واللودر نفسه بجنازيره العريضة ، وارتجت الأرض بعنف ، كما اهتزت المبانى المجاورة وركض المشاة مذعورين فى كل اتجاه .



تأرجحت الرافعة العملاقة ، وارتفعت الجنازير عن الأرض ، ولكن ، توم ، أدار الذراع إلى الناحية الأخرى في اللحظة الأخيرة نحو حفرة أساس المبنى .

لم يصب أحد على الإطلاق ، ولم تحدث خسائر فى المعدات بالموقع ، عدا اللودر المقلوب ، وكان توم هو الشخص الوحيد الذى تحمل عبء هذه الكارثة ، وقد انحشر فى غرفة التحكم المعدنية ، والتوت ساقاه بين الدواسات الملتوية ، وقد انقلب رأسًا على عقب ، وسالت منه الدماء .

تذكر توم فى موقفه الدامى زوجته إيفانا Ivana ، وأولاده الثلاثة ، وتساءل بين نفسه ، إن كان سوف يراهم مرة أخرى ، وأخذ يصلى فى صمت كى يشمله الله برحمته ، بعد قليل سمع صوتًا ضعيفًا ، ثم رأى المياه فى الحفرة الواسعة الموحلة وقد بدأت ترتفع قرب رأسه ، ويبدو أن اللودر اصطدم بماسورة مياه فى أثناء سقوطه ، وتوقع توم أن يغرق قبل أن يتمكن أحد من إنقاذه .

أحس توم بيدين قويتين تدعمانه من تحته ، ورأى مساعده وصديقه روى وقد ارتسم على وجهه الذهول ، وسأله توم « هل أصيب أحد ؟ » فرد عليه روى « .. لا أحد سواك ! » تجمع آخرون ، وأخذ بعضهم يحاول تحرير ساقى توم بين الدواسات الملتوية ، وحاولوا إبعادها بعتلة حديدية ، ولكنها كانت ملتصقة بأرضية الكابينة ،

ولا يمكن إدخال العتلة ، بينما أخذ رجال الإسعاف فى تزويد توم بالأوكسجين وقد غرق فى دمائه .

كانت قضبان الفولاذ المنتصبة من أساس البناء فى أنحاء الحفرة تنذر الجميع بالخطر لأى انزلاق فوقها ، فى حين كان ثقل المحركات وجنازير اللودر المقلوب توشك أن تسحق غرفة التحكم ، تولى طبيب الإسعاف إنقاذ توم بسرعة ، فعصب رأسه ويديه وذراعيه وصدره بضمادات ضاغطة خاصة ، لإعادة ضغط دمه إلى طبيعته ، وحقنه فى وريد ذراعه بمحلول ملحى ، وأخذ يتحدث معه حتى لا يغيب عن وعيه بأى حال ، ففى ذلك خطورة كبيرة .

انعكست أضواء سيارات الإطفاء على الونش المقلوب ، وصعد ضابط الإطفاء جو بيروتى Joe Beroti إلى الكابينة المقلوبة ، وحاول تحرير الساقين من الدواسات بوساطة مطرقة ، وفك بعض المسامير من أماكنها ، ولكنه لم يستطع نزع الدواسات نفسها .

دقائق طويلة مرت ، بينما انخفض ضغط دم توم كثيرًا ، بسبب النزف المستمر ، وأخذ جو يعمل بجنون لانتزاع الدواسة ، بينما أخذ إطفائيون آخرون يقومون بقص الحديد والأعمدة والألواح المعدنية فى غرفة التحكم بآلة

خاصة تعمل بقوة الطاقة المائية من سيارت الإطفاء ، وهكذا قص الدواسة الفولاذية بسهولة ، وكذلك كل ما يعوق خروج توم من الكابينة ، وأخيرًا حمله الرجال على حمالة إلى أسفل ، وقد التوت ساقاه على نحو غير طبيعى .

أخذ عشرة أطباء وأربع ممرضات يعملون طوال ساعتين فى غرفة عمليات المستشفى لإبقاء توم حيًا ، وأمدوه بالدماء ، والمضادات الحيوية لمنع الالتهابات ، وكذلك المورفين لتسكين الآلام ، ثم فصلوا ساقه اليسرى . وبعد زوال الخطر عن حياته ، نقل إلى مستشفى متخصص آخر فى نيويورك ، حيث كان من رأى الجراحين ، ضرورة بتر ساقه اليمنى أيضًا .

عندما وصلت زوجته إيفانا فى السادسة مساءً إلى المستشفى ، واطلعت على حال زوجها الخطرة ، انهارت فى أحد المقاعد وأخذت تبكى ، ولكن زوجها فى حاجة إلى العناية والتشجيع ، وليس إلى النحيب والنشيج ، فكفكفت دموعها ، ورسمت على وجهها ابتسامة ، واتجهت إلى غرفة زوجها .

كان توم ملفوفًا بالضمادات ، وبادرته إيفانا وفى حلقها غصة « .. لقد أوقعت نفسك فى مصيبة ، لا بأس بها هذه المرة يا عزيزى ! »

وكانت هذه العبارة قد استعاراها من أحد أفلام الثنائى الضاحك « لوريل وهاردى » . حيث استخدماها طوال السنوات الأربع والعشرين التى مضت على زواجهما ، فى مواجهة مثل هذه المواقف الصعبة ، وابتسم توم بمرح ، فأجاب كما يقول فى كل مرة : « إذا لم يفعل المرء شيئًا ، فلن يواجه أى مصيبة ! ولكن عليه إن يفعل الشىء الصواب » وأدركت إيفانا أن زوجها مصمم على تجاوز محنته .

وجاء ضابط الإطفاء جو بيرونى ، ومساعده وصديقه روى ليدرجر ، وأشار توم إلى رجل الإطفاء وقال لزوجته : « هذا هو الرجل الذى أخرجنى من الورطة ! » ولكن جو قال على الفور : «بل أنت البطل الحقيقى ، فلو لم تبعد الحمولة لقتل الرجال الخمسة فوق البرج الخرسانى ، ولو لم تبعد ذراع الرافعة عن المبانى المجاورة لمات العشرات فى الشارع مع خسائر فادحة ! »

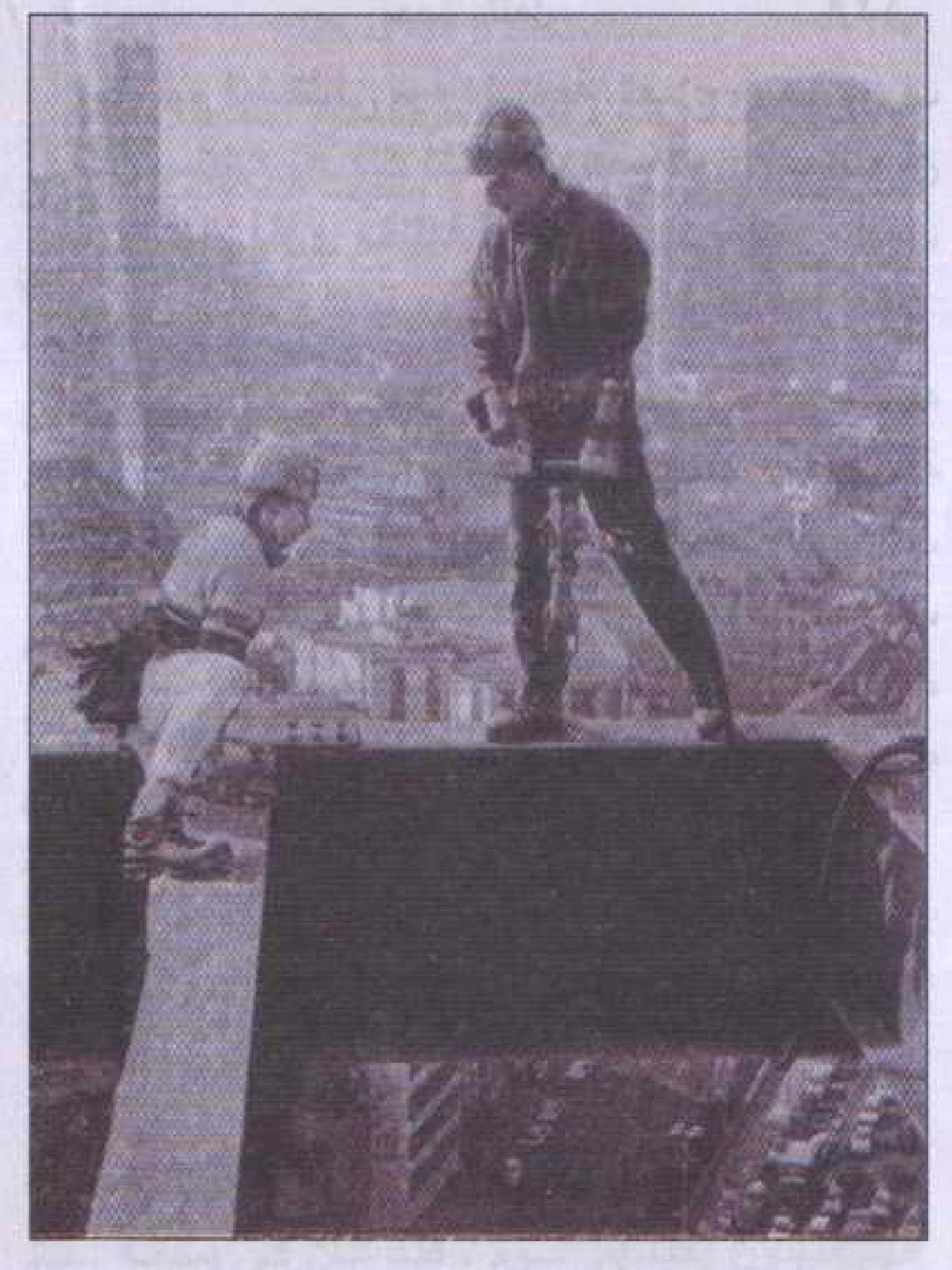
يعترف كثيرون فى الموقع ، ومن بينهم الرجال الخمسة ، أنهم مدينون بحياتهم لتوم ، فقد كان فى إمكانه إنقاذ نفسه ، ولكنه فضل إنقاذ الآخرين ، وكاد أن يضحى بحياته من أجلهم جميعًا .

دخل توم المستشفى مرارًا لمتابعة العلاج ، وهو يعرف أنه لن يستطيع بعد ذلك تشغيل الرافعة ، ولكن يمكنه أن يؤدى أعمالاً أخرى مختلفة فى شركته التى ينتمى إليها ، فلابد من التأقلم والتكيّف والتغيير بلا مرارة .

فى إحدى المرات حملته سيارة الإسعاف ، من منزله بمنطقة هايلاند هيلز Highland Hills بولاية نيويورك ، لمسافة 90 كيلومترًا إلى مستشفى فى حى مانهاتان بمدينة نيويورك ، لإجراء جراحة أخرى ، ومرت السيارة على موقع الحادث ، حيث كانت ناطحة السحاب قد ارتفعت إلى الطابق العشرين ، وقال لمرافقه الطبى : «كم أنا سعيد لأن أحدًا لم يصب بسوء» ولم يفكر لحظتها فى الآلام التى يعانيها .

بتصرف مختصر عن المصدر :

New york Times Magazine, An Article by Richard schneider, dated Nov. 1984.
229 West at 43 Street. New york, N.y. 10036, U.S.A.



عندما مر « توم » على الموقع ، كانت ناطحة السحاب قد بدأت ترتفع إلى الطابق العشرين ، ويدين الكثيرون بحياتهم له .

١٢ - جرفها تيار خليج المكسيك ..

[بقلم : فرانك سيرجنت]

لم يكن هناك ما يشير إلى أية أخطار ، حينما نزلت جليندا لينون Glenda Lennon – 23 سنة إلى المياه الدافئة للسباحة فى أحد أيام شهر أغسطس 1970 ، وطفق زوجها روبرت Robert يراقبها من فوق زورقه الذى يصل طوله إلى ستة أمتار ونصف المتر ، فى مرساه الذى يقع عند مصب نهر ، على بعد ثمانية كيلومترات من ميناء هوموساسا Homosassa بولاية فلوريدا Florida الأمريكية ، التى تطل على البحر الكاريبى والمحيط الأطلنطى من شواطئها الشرقية ، وعلى خليج المكسيك من شواطئها الغربية .

ويشتهر نهر هوموساسا بأنه يستمد مياهه المتدفقة من ينابيع تحت الأرض ، حيث يتدفق يوميًا حوالى 444 مليون لتر من المياه العذبة الصافية فى أفرع هذا النهر لتصب فى خليج المكسيك عند انحسار المد Ebb Tide الذى يحدث كل 12 ساعة ، وبالطبع فإن معظم هذه المياه العذبة تستفيد

بها الولاية فى أعمال الرى الزراعى والشرب ، ولكن الفائض منها يتدفق إلى مياه الخليج المالحة .

بعد حوالى 15 دقيقة من السباحة ، شعرت جليندا ، بأن التيار المائى القادم من مصب النهر يدفعها بعيدًا عن الشاطئ ، وهو أمر مزعج ولكنه ليس مخيفًا ، ولذلك نادت زوجها روبرت بسرعة ، وفى الحال قفز روبرت من قاربه ، وبعدة ضربات سريعة كان بجوارها ، ولكن كلب جليندا الصغير ، الطويل الشعر ـ وهو من نوع بوديل Poodle ـ قفز أيضًا من الزورق محاولاً السباحة نحوهما مع التيار ، وعندما بدأت زوجته تصرخ من الخوف على الكلب الصغير تركها روبرت وسبح نحو الكلب لإنقاذه من الغرق .

وعندما تحول إلى زوجته ، وجد أنه نفسه لا يستطيع السباحة ضد التيار ، وبصعوبة تمكن من الوصول إلى زوجته وأعطاها الكلب المدلل ، وكانت أشعة الشمس الحارقة فى شهر أغسطس ، قد منعت معظم المتريضين بزوارقهم ، ولم يكن هناك أحد فى مجال الرؤى ، وشيئًا فشيئًا أصبح زورقهما نفسه أصغر حجمًا بزيادة المسافة بينه وبين الشاطئ .

أدرك روبرت أنه لن يستطيع سحب زوجته ضد التيار ، نحو الشاطئ ، فضلاً عن كلبها الذى تحمله ، ولكن جليندا كانت ترتدى قناعًا للغطس تحت الماء Diving Mask ، وأنبوب مرتفع إلى أعلى للتنفس ، وزعانف مطاطية للسباحة Swim Fins ، فليست إذن فى خطر داهم ، وقرر روبرت السباحة وحده إلى الزورق ، ثم العودة به بسرعة لإنقاذ زوجته والكلب ! وذكرها بالقواعد الضرورية للإبقاء على الحياة ، وأن تظل هادئة ، وألا تقاوم المياه ، وأن ترفع رأسها فقط لكى تتنفس ، كما حذرها أيضًا من أنها قد لا يمكنها الإمساك بكلبها سبونكى Spunky لوقت طويل ، ثم أخذ يصارع التيار نحو زورقه ، الذى أصبح عن بعد عبارة عن نقطة بعيدة .

لأكثر من ساعة ، صارع روبرت التيار المندفع من مصب النهر نحو الخليج ، حيث جرفه عدة مرات لأعماق البحر ، ولم يكن فى إمكانه مشاهدة الزورق أو الشاطئ أو اليابسة ، ولم يكن لديه سوى الشمس الغاربة فجعل يسبح نحو الأفق الشرقى ، ولذلك حاول أن تكون الشمس خلفه تمامًا فى أثناء السباحة .

لم يكن فى استطاعة روبرت تحديد مكان الزورق ، ولكنه استمر فى سباحته لفترة ، وإراحة عضلاته لفترة أخرى حتى لا يصاب بالتقلصات العضلية ويتعرض للغرق ، وفجأة شاهد ضوءًا من ناحية الشرق ، وكان ذلك انعكاسًا لأشعة الشمس على هوائى الزورق ، وبعد ست ساعات متواصلة صعد روبرت إلى سطح زورقه وهو مجهد تمامًا .

لحظات قليلة ، استجمع فيها قواه ، ثم أجبر نفسه على تشغيل محرك الزورق ، واتجه به نحو المكان الذى ترك فيه زوجته جليندا ، وكانت الشمس عندئذ قد غربت تمامًا ، إلا من أشعة شفق الغروب ، فى نفس الوقت أخذ روبرت ينادى حرس السواحل Coast Guard لإنقاذ زوجته ، والتقط أسطول صيد الإربيان «الجمبرى» Shrimp ، نداءات روبرت اللاسلكية ، فرددوها مرة أخرى بأجهزتهم القوية ، مع نداء لأى قارب أو زورق فى المنطقة للاشتراك فى عملية الإنقاذ .

خلال ساعات كان يشترك فى عملية البحث سفن أسطول الصيد فى المنطقة ، والزوارق الخاصة والقوارب السريعة ، وطائرة هليكوبتر تابعة لحرس السواحل قادمة

من مدينة سانت بيترسبورج St . Petersburg ، ولكن لم يتم العثور على جليندا فى المنطقة ، حيث دفعها التيار بعيدًا عن الشاطئ داخل خليج المكسيك بتياراته الأخرى العارمة .

عندما سبح روبرت نحو زورقه عصرًا ، اعتقدت زوجته أنه سوف يعود سريعًا بزورقه ، ولكن الساعات مرت بسرعة وأصبح الليل وشيكًا ، ولأول مرة شعرت بالخوف ، فربما لم يتمكن من الوصول إلى الزورق ، وربما أصيب بتقلصات عضلية ويواجه الغرق ، وربما ستنتهى حياتهما معًا فى تلك المنطقة .

وقد ظل الكلب هادئًا لفترة ، ولكن عندما بدأت جليندا فى القلق ، انتقل هذا الإحساس الداخلى إلى الحيوان ، وأخذ يحاول تسلق كتفيها ، والصعود فوق رأسها ، وحاولت جليندا أن تهدئه بقدر الإمكان ، وأن تبقيه عائمًا ولكن بعيدًا عنها بامتداد ذراعيها ، ولكن اهتياج الحيوان الصغير ازداد حدة ، مما أصبح يهدد حياتها ، أطلقته بعيدًا ، دون أن تجرؤ للنظر إليه .

عندما غربت الشمس ، تذكرت جليندا القصص المروعة



فجأة ظهرت السحب الداكنة ، فوق خليج المكسيك ، وهبت عاصفة شديدة جرفت « جلينda » إلى العمق ، وبعدها حل ظلام الليل مباشرة .

عن هجمات أسماك القرش Shark ، وتمنت ألا يحدث لها ذلك ، ودعت اللّه أن يحميها من هذه الوحوش ، وأن يترفق بها للنجاة ، ولم تعد تسبح فى أى اتجاه ، وإنما كان عليها فقط أن تضرب بضع ضربات بيديها أو قدميها ذات الزعنفتين المطاطيتين ، كى تظل طافية فحسب ، وشعرت بالإجهاد والضعف ، والأسوأ بالعطش الشديد ، بما يدل على فقد الماء فى جسمها Dehydration ولكنها لايمكن أن تتناول الماء المالح ، مما يؤدى إلى المزيد من العطش وفقد الماء .

واكفهر الجو فجأة ، وظهرت السحب القاتمة عند شفق الغروب ، وانخفضت درجة الحرارة بشدة ، ولكن مياه الخليج كانت دافئة إلى حد ما بالنسبة للجو العاصف من حولها ، وعندما انتهت العاصفة بعد فترة ، تأكدت أن عليها فقط أن تظل مستيقظة ، وتبقى وجهها فوق الماء للتنفس عبر أنبوب القناع ، ثم تترك نفسها تمامًا لتيار الخليج كى يجرفها Drift فى أى اتجاه ، وهو غالبًا ما يندفع قرب السواحل فى حركة دائرية مع عقارب الساعة ، ثم انقلبت على وجهها فوق الماء ، كى تريح عضلات عنقها ، حيث كانت تتنفس من الأنبوب Snorkel الخاص بالقناع وقد وجهته إلى أعلى .

والغريب فى الأمر ، أن النوم غلبها على هذا الوضع ، فلما استيقظت كان الجو صافيًا ، والنجوم ساطعة فى السماء ، ولكنها لم تر أية أضواء من الشاطئ ، وشاهدت العديد من الأسماك الفوسفورية المضيئة وهى تقفز من حولها ، وسمعت لأول مرة صوت محرك طائرة ، وانطلقت المشاعل المضيئة فى السماء ، وأخذت تصيح وتلوح بيدها ، ولكن أحدًا لم يرها ، وأدركت على أية حال أن عمليات البحث قد بدأت ، ولم يكن لديها أطفال تفكر فيهم ، ولكنها أخذت تفكر فى زوجها ، وفى مسار حياتها ، وأخذت تبتهل أن تظل حية حتى شروق الشمس .

فى الفجر بدا البحر واسعًا وهادئًا مخيفًا ، فلا أحد فيه على مدى البصر ، ومع شروق الشمس ، وظهور أشعتها بدأت تشعر بالعطش مرة أخرى ، واحترقت شفتاها وتورم لسانها ، ولكنها ظلت تحرك ساقيها لتظل طافية ، وتجاهد بضعف لرفع رأسها للتنفس ، وقد ظلت تفعل ذلك لحوالى 18 ساعة متصلة حتى الآن .

امتدت عمليات البحث إلى حوالى 35 كيلومترًا عن مركز مصب النهر ، ومع ذلك استمر الجميع فى عمليات البحث ، ولو أن الآمال قد تضاءلت فى بقاء جليندا على قيد الحياة ، فلم يعد أحد يعتقد فى المعجزات !

ولكن دونكان ماكرى Duncan Macrae ، أحد العاملين فى ترسانة ميناء هوموساسا ، كان يؤمن بوجود المعجزات ، بما شاهده وعرفه من خبرته طوال خمسين عامًا فى خليج المكسيك ، وقد رفض الاشتراك فى عمليات البحث ليلاً ، لأنه يعتقد أنها غير مجدية ، فلما جاء الصباح اشترك فيها وكله ثقة فى العثور على جليندا ، ما لم يهاجمها قرش كبير .

اندفع ماكرى بقاربه السريع مع أول ضوء ، مصطحبًا اثنين من رفاقه ، فى اتجاه تيار الخليج الذى يعرف تمامًا أنه يندفع بسرعة 14.4 كيلومتر فى الساعة ، وأخذ يدرس بدقة عمليات المد Flow ، والجزر Ebb واتجاه التيار tide وقدر أن جليندا قد انجرفت نحو الشمال الغربى ، حيث إن الرياح تهب فى هذا الاتجاه بصفة دائمة بسرعة 18 كيلومترًا فى الساعة ، وبعد حسابات دقيقة لحركة جليندا مع تيارات المد والجزر والتيارات وحركة الرياح ، وجه قاربه السريع إلى غرب ـ الشمال الغربى West - Northuest

نبه ماكرى مرافقيه لمراقبة الأسماك فى الماء ، وعليهم ألا يحولوا أعينهم عن أى حركة تثير انتباههم فى الماء ، واندفع الزورق بعيدًا فى عمق الخليج ، وبعد حوالى 40 دقيقة

شاهد شيئًا عائمًا عن بعد بلمع تحت أشعة الشمس ، قد يكون من أسماك الماكريل Mackerel ، ولكن تلك الأسماك غير مألوفة فى المنطقة فى شهر أغسطس ، وبعد لحظات شاهد ذراعًا ترتفع ، فتأكد أنها جليندا ، وقد عثر عليها ماكرى فى نفس المكان الذى توقعه تمامًا ، وتم إنقاذها بعد أن قضت فى الماء 20 ساعة متصلة ، ولم تصب بسوء ، سوى أنها فقدت بضع كيلوجرامات من وزنها .



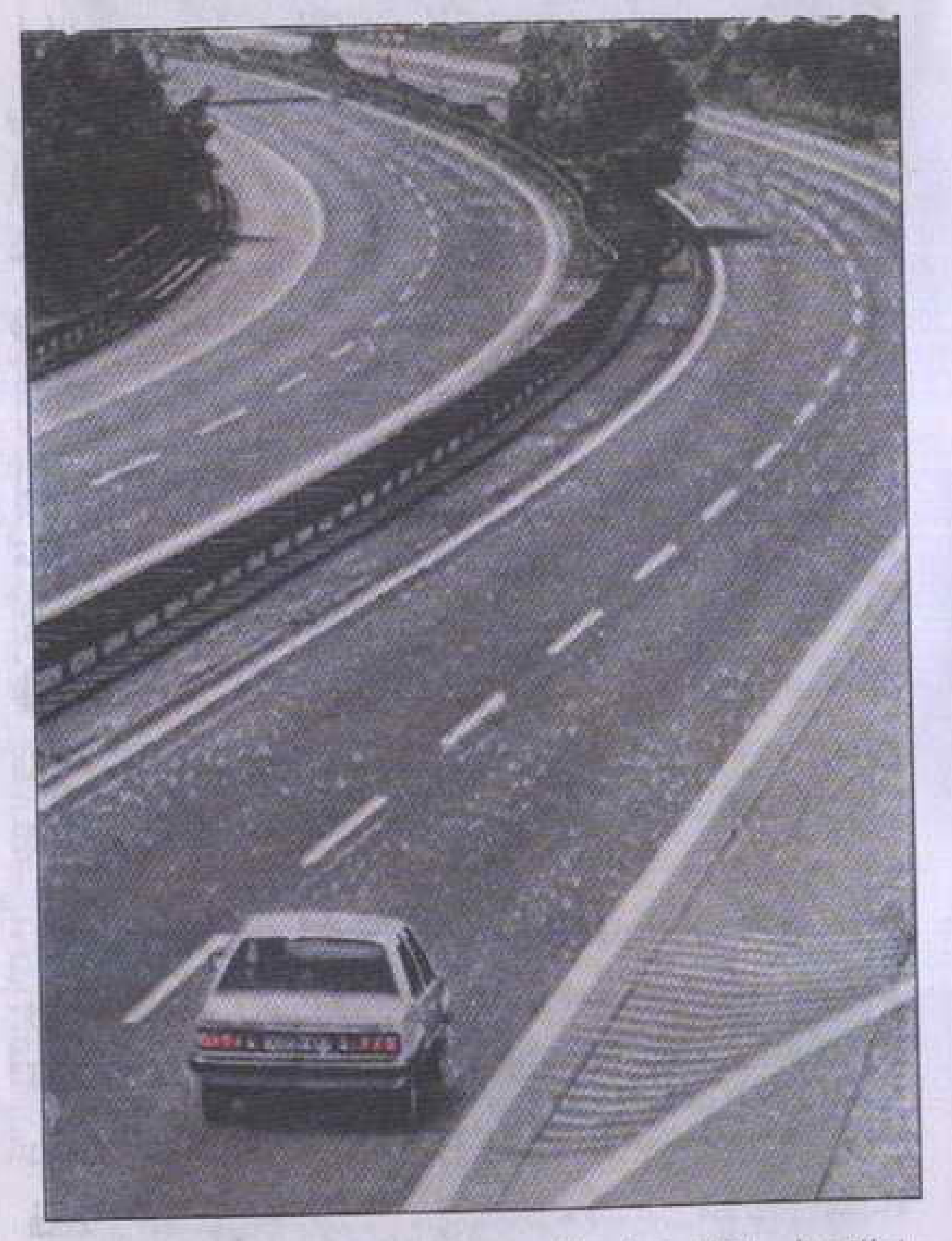
بتصرف مختصر عن المصدر :

Sports Illustrated Magazine, by Frank Sargeant, dated Feb. 1971 .

Rockefeller Center, New york, N.y. 10020, U.S.A.



ظلت ، جليندا ، طوال 20 ساعة وهي تصارع تيارات الخليج ، وتحاول أن تظل طافية حتى يتم إنقاذها .



انطلقت السيارة الشيفروليه بالأسرة نحو الطريق السريع الذى يخترق الغابة ، فى نزهة قصيرة . انقلبت إلى كابوس .

١٣ـ طفلة فى سيارة تحترق ..

[بقلم : هارى لاتهام]

حدث ذلك فى العاشر من سبتمبر 1986 ، حينما وصل دونالد فيل Donald Phil ، مع صديقه جيم ، إلى منزل زوجته ناتالى فيل Natalie Phil فى مدينة فرانت رويال Front Royal الصغيرة التى تقع فى الشمال الغربى من ولاية فيرجينيا Virginia الأمريكية ، وذلك لإزالة الخلافات الشديدة القائمة بينهما ، وقضى الجميع وقتًا متوترًا فى المنزل ، لم يخفف من حدته سوى كلمات وتصرفات الطفلة إيفا الجميلة .

واقترح دونالد الخروج لتناول الطعام فى الخارج ، ثم القيام بنزهة فى غابة شيناندو القومية Shenandoah National Park التى تقع جنوب المدينة ، ووافقت ناتالى على الفكرة ، بأمل أن يحسن ذلك من العلاقات المتوترة مع زوجها ، والأعصاب المشدودة ، وكذلك حتى تتمكن طفلتهما إيفا من التمتع بأشعة الشمس والهواء الصحى .

بعد تناول الطعام فى المدينة ، انطلقت السيارة الشيفروليه

بعد الظهيرة نحو الطريق السريع الذى يقطع الغابة المستطيلة ، وحيث يتفرع منه العديد من الطرق الجانبية داخل الغابة ، ويمكنهم حينئذ أخذ إحداها والتوقف وقضاء وقت طيب .

كان الزوج دونالد يقود السيارة ، وبجانبه زوجته ناتالى ، بينما جلست فى المقعد الخلفى طفلتهما إيفا فى مقعدها البلاستيكى الخاص بالأطفال وبجانبها الدب الذى لا تفارقه - والمصنوع من الفرو البنى - وقد شد أيضا فى مكانه بحزام الأمان ، وكان الصديق جيم قد استأذن للعودة إلى منزله بعد تناول الغداء مع الأسرة ، واطمأن إلى عودة العلاقات الطيبة بين الزوجين .

فجأة قالت ناتالى شيئًا ما ، فارتبك دونالد فى أثناء قيادته ونظر إليها ، وفى لحظات اندفعت السيارة المسرعة نحو الحاجز الفاصل بين مسارى الطريق السريع ، وضغط دونالد على الفرامل بشدة ، ولكن الوقت كان قد فات فحطم الحاجز المعدنى ، واندفعت السيارة فى الاتجاه المضاد ، وانقلبت على جانبها وهى على حافة نهر نورث وست North West .



كانت الطفلة ، إيفا ، فى حاملة الأطفال البلاستيكية ، وبجانبها صديقها الدب بحزام الأمان .

صرخ دونالد فى زوجته « اخرجى من السيارة ، إنها تحترق ! » ، ولم تدرك الزوجة ما الذى حدث بالضبط ، فكل شىء حدث بسرعة مذهلة ، ولكنها تبعت زوجها بغريزتها عبر النافذة الجانبية المفتوحة ، وفجأة أدركت المشكلة ، فصاحت فى ارتياع « أين إيفا ؟ »

كانت السيارة المسرعة قد مرت منذ لحظات ، قرب كلايد ماركس Clyde Marx رئيس الحرس الجوال فى الغابة ، وزميله دانييل ميللر Daniel Miller فى سيارتهما المتوقفة فى مكان جانبى على الطريق ، وسمعا معًا عن بعد الفرامل الزاعقة وأصوات الصراخ .

قاد كلايد سيارته إلى الأمام ، وشاهد عن بعد الزوج واقفًا بجانب زوجته فى ذهول وقد تمزقت ثيابهما ، وقال لزميله : « إنهما محظوظان ، فتلك السيارة المحترقة ستنفجر ! » ، وأوقف سيارته على بعد آمن وانطلق مع زميله نحو السيارة المحترقة ، وقد تصاعد منها دخان كثيف ، بينما الزوجة تصرخ فى هيستريا ، وعاد كلايد إلى سيارته لاستدعاء النجدة بالجهاز اللاسلكى ، بينما تقدم دانييل وأمسك بذراع السيدة يحاول أن يهدئ من روعها ، ولكنها صرخت فيه : « طفلتى فى السيارة .. إيفا ! » ،

فنظر دانييل إلى زوجها المذهول كى يتأكد من الأمر ، ثم قال لها « أريد أن أعرف بالضبط مكان طفلتك فى السيارة ، فليس هناك وقت ! » ولكن الأم المضطربة لم تقو على النطق ، وأشارت بأصبعها فقط .

كانت ورطة حقيقية . فمحاولة دخول السيارة عبر النافذة الجانبية للسيارة المقلوبة قد يستغرق وقتًا طويلا ، فهرع إلى الزجاج الخلفى الذى لم يصب بأذى ، وأخذ يكيل له الضربات بقبضته ، ولكنها كانت ترتد دون جدوى .

وتعذر عليه رؤية ما بداخل السيارة بسبب الدخان الأسود الكثيف ، واقترب اللهب اللاذع من خزان الوقود ، وسمع دانييل صوت فرقعات معدنية ، فشعر باهتياج شديد لعجزه عن تحطيم الزجاج ، وأخذ يضربه بحذائه الثقيل بلا فائدة ، وخطا إلى الخلف بضع خطوات كافية ، ثم خفض رأسه واندفع مقتحمًا السيارة بكتفه ، فحطم الزجاج الخلفى ، وانقذف إلى الداخل فى المقعد الأمامى ورأسه على جهاز الراديو ، وهو شبه مغمى عليه .

كانت ناتالى قد تهاوت إلى الأرض ، وقد أسندت ظهرها إلى حاجز الطريق وهى تبكى بشدة ، وتفكر فى مصير ابنتها

ومسار حياتها ، فقد توفيت والدتها قبل ثلاث سنوات فى مسقط رأسها فى فرنسا ، ولقد حضرت إلى الولايات المتحدة كى تعيش مع والدها الأمريكى الجنسية ، ولكنه يعمل دائمًا فى أماكن بعيدة عن المدينة ، وسرعان ما التقت بدونالد وتزوجته وأنجبت إيفا ، ولكن حياتها كانت تعسة بصحبة زوجها ، فعملت فى أحد المطاعم ، وقررت أن تعتمد على نفسها ، وتعمل كل ما فى وسعها لتربية وتنشئة طفلتها الصغيرة .

أخذ دانييل يبحث بيديه فى الدخان المتصاعد ، ولم يجد شيئًا فى المقعد الأمامى أو أرضية السيارة ، وكان الزجاج الأمامى محطمًا تمامًا ، ولكن بدت صرخات الطفلة بعيدة فى بقعة قاتمة تحوطها لفحات النيران ، وأخذ يفتش فى المقعد الخلفى وهو يكاد يختنق ، ووجد الدب فى مكانه ، وكانت حاملة الأطفال البلاستيكية مدلاة من وسط المقعد الخلفى ، ولكنها كانت خاوية ، فقفز إلى المقعد الخلفى ، وأخذ يبحث فى جزع بين العلب والملابس المتناثرة فى أرضية السيارة ، وكان سقفها قد بدأ يحترق ، ويقطر سائلاً لزجًا حارًا ، ثم سمع بكاءً ضعيفًا متقطعًا ، فنبش المكان ، وأحس بذراع الطفلة تحت سلة للغسيل .

جذبها دانييل بذراع واحدة ، ثم تدحرج زاحفًا إلى الزجاج الخلفى ، وفى أثناء ذلك سمع انفجار العجلات من الحرارة الزائدة ، وأدرك أن النيران تقترب بشدة من خزان الوقود الخلفى ، ثم شاهد وجه زميله كلايد وقد انتابه القلق الشديد ، فأودع الطفلة ذراعيه الممدودتين ، فأخذ كلايد يصرخ فيه « أخرج الآن ، ستنفجر السيارة ! »

ما هى إلا لحظات ، ودوى انفجاران رهيبان ، بينما كان كلايد يجرى مبتعدًا حاملاً الطفلة ، وخلفه مباشرة زميله دانييل ، ثم انطرحوا جميعًا أرضًا ، حتى لا تصيبهم الشظايا المتطايرة ، ثم أخذت الانفجارات تتوالى ، وقد ارتفعت ألسنة اللهب والدخان الكثيف .

بأعجوبة لاتصدق ، شعرت ناتالى بذراعى طفلتها ، وهما يطوقانها فى اضطراب ، وقال لها كلايد إنها بخير ، وانهمرت الدموع مرة أخرى من عينى الأم ، ولكنها كانت دموعًا مختلفة ، فيها الكثير من الشكر لله ورحمته ، وفيها الكثير من الامتنان لدانييل الذى كاد أن يضحى بنفسه لإنقاذ الطفلة ، برغم أنه أب لثلاثة أطفال ، أو ربما لهذا السبب .

تقدم دانييل بهدوء إلى الأم وقال « إنها طفلة جميلة ،

أرجو أن تحافظى عليها » ، وفى انتظار وصول النجدة وفريق الإسعاف ، حمل دانييل الطفلة برفق ومشى بها وهو يعرج ، وقد وقع الانفجار الأول للسيارة بعد 30 ثانية فقط من تسليم الطفلة إلى أمها ، أما الآن فلا يمكن السيطرة عليها ، وقد ارتفع اللهب إلى 30 مترًا .

جرى علاج ناتالى فى المستشفى من الصدمات والكسور المتعددة والجروح الداخلية ، وكذلك زوجها دونالد ، وكانت إيفا هى الوحيدة التى لم تصب بأذى ، وقد زارت الأسرة بعد ذلك دانييل فى مزرعته الخاصة مع أسرته وأطفاله ، ونشأت صداقة متينة بين الأسرتين حتى الآن .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Woman's Day Magazine, by Harry Latham, dated March 1987 .

1515 Broadway. New york, N.y. 10036, U.S.A.

١٤ ـ مأزق تحت ركام الثلوج ..

[بقلم جوليا كلايتون]

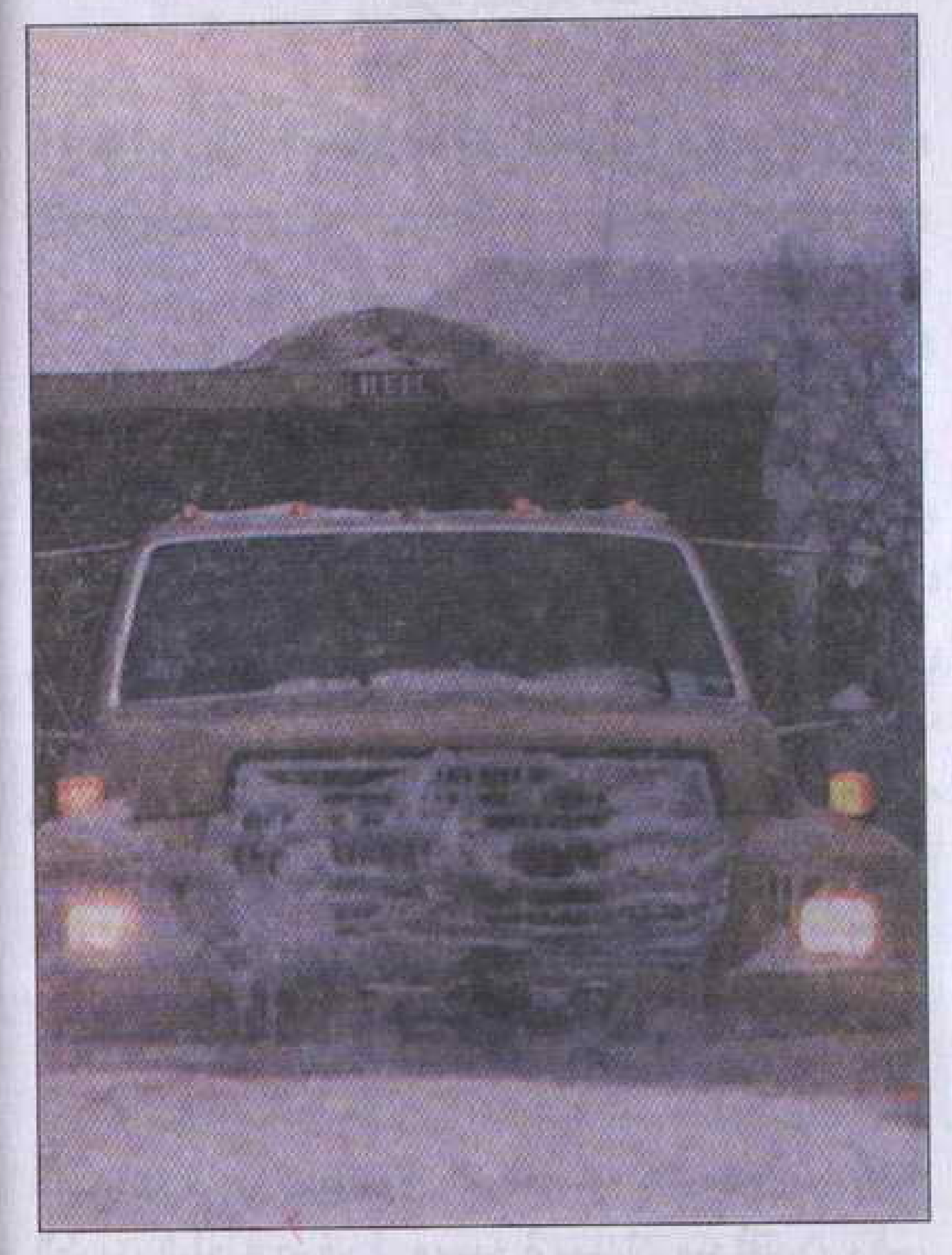
هبت عاصفة ثلجية عنيفة فى 11 يناير 1988 ، فانطلق دون فيشر Don Fisher – 63 سنة ـ بشاحنته الخاصة المجهزة ، التابعة لهيئة الطرق ، لفتح الطريق عبر ممر تيتون Teton الجبلى ، الذى يربط ولاية وايومينج Wyoming مع ولاية إيداهو Idaho فى شمال غرب الولايات المتحدة ، عبر سلسلة جبال روكى Rocky Mountain . ولكنه ما يكاد يجرف الثلوج عن الطريق فى منطقة ، حتى تتراكم الثلوج عليها بسرعة .

كانت كتل الثلج تسقط على الطريق أيضًا من الجبال على الجانبين ، فأدرك دون أن الثلج المتراكم على الجبال غير مستقر ، وأن ذلك هو النذير الأول بانهيار ثلجى عارم ، ولاحظ دون على مسافة كيلومتر من قمة الطريق شاحنة صغيرة وسيارة سيدان متوقفتين ، فى نفس المنطقة التى كان قد نظفها منذ قليل ، فقرر دون التوقف خلال جولته التالية للتأكد من سلامتهما .

ولكن جاك أوكلى Jack O'kelly ، كبير المراقبين فى المنطقة ، أعلن قرب الثامنة صباحًا فى جهاز اللاسلكى غلق الممر أمام عبور جميع السيارات ، ولكن دون قال له إن عليه أن يقوم بجولة أخرى حيث إن هناك سيارتين عاطلتين ، ووافق جاك على ذلك ، بشرط أن يأخذ حذره ، فالطريق أصبح خطرًا .

زحفت الشاحنة الضخمة وهى تصعد الطريق مرة أخيرة ، ثم أوقفها جانبًا فى منطقة جلورى بول Glory Poll – وهى جزء ضيق من الطريق ترتفع من جانبيه الجبال بشكل عمودى لمسافة 600 متر ، ثم خاض فى الثلوج المتراكمة التى وصلت إلى ركبتيه ، ووجد أن الثلج قد ملأ جوف الجارفه الأمامية المثبتة فى شاحنته القوية ، وفكر فى العودة إلى مدينة جاكسون فيل فى ولاية وايومينج ولكنه فكر فى السيارتين المعطلتين فى أعلى الطريق .

وهكذا صعد دون إلى شاحنته وتابع السير ببطء ، وفجأة هبت رياح قوية عاصفة ، دفعت بسيارته التى تزن 20 طنًا إلى جانب الطريق ، وخلال ثوان كانت قد حطمت زجاج النافذة اليمنى لكابينة السائق ، وكذلك حاجز الرياح الأمامى ، فنظر دون حوله ليعرف موقفه ، وإذا به يشاهد كتلا ضخمة من الثلوج من قمة الجبل ، وهى تنحدر نحوه



انطلق « دون » بشاحنته الضخمة ؛ لإزالة الثلوج وفتح ممر تيتون الجبلى بين الولايتين الأمريكيتين ، حيثما دفن تحت الانهيار الثلجى .

بسرعة . ضغط على الفرامل ، وحاول العودة إلى الخلف ولكن الوقت قد فات ، وتدفق الثلج عبر النافذة المكسورة ، وملأ كابينة القيادة وتسمر دون فى مقعده ، ثم جاء الانهيار الثلجى الرهيب ، فقذف بالسيارة لمسافة 60 مترًا ، حيث استقرت على جانبها الأيسر ، وأصبحت عجلاتها العشر فى الهواء ، والتوى جهاز جرف الثلج المصنوع من الصلب ، وكذلك الصندوق المعدنى للشاحنة ، وأصبحت كلها تحت ركام الثلوج البيضاء .

حدق دون فى الظلام الدامس ، وتبين له أنه أصبح سجينًا داخل كابينته المحشوة بالثلوج ، وحاول التركيز على تنفسه أولا ، كما أنه لا يعرف عمق الثلج الذى دفن تحته ، وما هى إلا لحظات ، حتى سمع انزلاق كتل أخرى من الثلج كالرعد فوق السيارة ، فتأكد أنه قد دفن تحت الركام الأبيض ، ولن يتمكن أحد من العثور عليه .

لم يكن قادرًا على الوصول إلى جهاز اللاسلكى لطلب النجدة ، حيث كانت قدمه اليمنى عالقة بين الفرامل ودواسة الدبرياج ، بينما انثنت قدمه اليسرى تحت المقعد ، ويده اليسرى محشورة بين ركبته اليسرى

وعجلة القيادة ، وكان دون قد رفع يده اليمنى بطريقة غريزية لحماية وجهه فى أثناء انقلاب الشاحنة ، وهى الآن مرفوعة إلى أعلى قرب لوحة القيادة ، وقد غمرت الثلوج كل شىء .

أخذ دون يخدش الثلج بأظفار يده اليمنى ، ومع تنفسه كان يشد قبضته ويفحصها ، إلى أن ذاب الثلج حول يده فى تجويف صغير ، وأخذ دون يفكر فى زوجته كارين Karen ، وأولادهما الخمسة ، وخيل إليه أن الزمن قد تجمد أيضًا ، كما فكر أيضًا فى زملائه وأصدقائه ورحلات الصيد التى كانوا يقومون بها ، وكان كل ذلك يبدو بعيدًا جدًا الآن .

شكل الثلج الذائب بفعل التنفس ، طبقة رقيقة على بُعد سنتيمترات قليلة من وجهه ، أشبه بقناع الموت يمنع عنه الأوكسجين ، كما كان الثلج الذائب يقطر على رقبته مما زاد من عذابه ، ثم نال منه الإرهاق الشديد ، فراح فى حالة بين الغيبوبة واليقظة من انخفاض درجة الحرارة .

كان صديقه روس مانفريد Russ Manfred فى مبنى هيئة الطرق فى مدينة جاكسون فيل قلقًا ، لعدم تمكن

أحد من رفاقه من الاتصال بدون فيشر منذ حوالى الثامنة صباحًا ، وقد مرت نصف ساعة بعد ذلك الوقت ، وليس من عادة دون أن يتأخر فى الاتصال ، وهو المعروف بين زملائه بدقته ونظامه ، وفى الحال قرر روس مع زميله تشارلى كريستوف Charly Christoph فنى اللاسلكى بالهيئة الانطلاق بسرعة للبحث عن دون الذى كان بمثابة أب لكل أفراد الفريق الذين يصغرونه سنًا .

تجاوزت الشاحنة الصغيرة الأوتاد والحواجز التى تشير إلى غلق الطريق ، وحاولا خلال ذلك الاتصال بدون ولكن بلا فائدة ، فتأكد لديهما أن هناك شيئًا ما ، وعند المنعطفات الحادة تحت « جلورى بول » لاحظا جدارًا ثلجيًا بلغ ارتفاعه مترًا ونصف المتر ، فقال تشارلى لزميله روس أن يظل فى مكانه بالسيارة وتشغيل جهاز اللاسلكى ، على أن ينطلق إلى الأمام للتحقق من احتمال الانهيار الثلجى فى المرتفع الضيق .

تبين تشارلى أن هناك انهيارًا بالفعل ، ولم ير فى البداية سوى طبقات بيضاء ، ثم لاحظ شيئًا قاتمًا ، وكانت جزءًا من حاجز الصدمات الخلفى لشاحنة دون

فيشر ، ركض تشارلى بسرعة نحو الشاحنة وأخذ يحفر بيديه ، إلى أن أدرك النافذة اليمنى المفتوحة وقد امتلأت بالثلج ، ثم ظهرت اليد اليمنى لدون ، وأخذ ينبش الثلج ، حتى مزق الزجاج المكسور قفازيه وجرح يديه ، إلى أن تمكن من انتزاع الثلج من حول أنفه وفمه ، وتنفس دون بعمق لأول مرة منذ ساعة ، وتراءى له منظر السماء عبر النافذة المكسورة كمعجزة .

ركض تشارلى إلى سيارته لاستدعاء روس وطلب النجدة بجهازه اللاسلكى ، فأخذت جرافات الثلج تشق طريقها بسرعة نحو الممر ، وفى أثناء ذلك كان تشارلى قد حرر رأس دون وكتفيه ، وحين وصل كبير المراقبين جاك أوكلى ، التقط يد دون ، وأكد لصديق عمره أنه سيخرج من مكانه على ما يرام ، وبدأ الرجال فى جرف الثلج يدويًا من الكابينة بعلبة بن فارغة ، بينما كانت هناك نجدات أخرى فى الطريق .

عندما تمكن الرجلان من تحرير دون حتى خصره ، حاولا جذبه إلى الخارج دون جدوى ، وخشى الجميع أن يفقد دون حياته وأن يتجمد حتى الموت ، وفى تلك الأثناء وصل فريق الإنقاذ التابع للإطفاء ، وجرف العمال

حفرة عمقها ثلاثة أمتار أمام الشاحنة ليتمكنوا من سحب دون عبر فتحة الزجاج الأمامى ، ثم اقتلعوا عجلة القيادة بجهاز هيدروليكى للقطع ، وكذلك قص دواستى الفرامل والدبرياج ، ووضعوا دون على لوح خشبى عبر الفتحة الأمامية ، ثم حملوه خارجًا إلى سيارة الإسعاف ، وكان قد مضى على دون نحو أربع ساعات فى الثلج .

وتبين فى المستشفى أن درجة حرارته قد انخفضت إلى 29.5 درجة مئوية ، وأنه يعانى من فقد الحرارة Hypothermia ، وبعد تدفئته ، لم يعثر الأطباء إلا على بعض الخدوش والكدمات ، والتواء ساقه اليسرى ، وغادر دون المستشفى بعد يومين ، وعاد إلى عمله فى اليوم التالى ، وقد تلقى تشارلى وزميله روس جائزة مالية من هيئة الطرق فى الولاية ، تمنح لمن ينجز أعمالاً بطولية ، كما تم انتشال شاحنة دون وجرى إصلاحها بعد ذلك .

بتصرف عن المصدر :

Reader's Digest Magazine, by Julia Clyton, dated April 1988 .

Pleasdntville, N.y. 10570 , U.S.A.

١٥ ـ شق المنشار الدوار صدره ..

[بقلم : ستانلى إنجلبرت]

كان يوم 25 يونيو 1975 يومًا رائعًا ، حينما بلغ ستيف هاكلمان Steve Haklman - 32 سنة - وزميله جورج ماكاى George Mackaye ، منطقة عالية فى جبال غابة كوكونيون القومية ، فى ولاية أريزونا Arizona فى جنوب غرب الولايات المتحدة ، حيث عهد إليهما قطع أشجار الصنوبر والسنديان الصغيرة ، التى تعترض إقامة أبراج نقل الكهرباء ذات الضغط العالى .

وكان الرجلان يستخدمان منشارًا دوارًا يعمل بالهواء المضغوط ، يعرف باسم منشار آكلى Ackly Saw ، وهو جهاز له يد طويلة أقل من مترين ، وفى نهايته نصل دائرى قطره 25 سنتيمترًا ، يدور بسرعة 4500 لفة فى الدقيقة ، بضغط الهواء عبر خرطوم فى طرف اليد إلى ماكينة ضغط الهواء ، وكان ستيف قد انتهى من قطع بعض الأشجار لنصف ساعة ، ثم عهد إلى جورج باستكمال عمليات القطع ، بينما أخذ ستيف فى تكديس ما تم قطعه من أخشاب .

سبق للرجلين أن استخدما هذا المنشار الخطر فى عمليات قطع مشابهة من قبل ، وإن كان ستيف لديه خبرة أكبر فى ذلك المجال الذى ظل فيه طوال 13 عامًا ، بينما جورج حديث العهد بالمهنة ، ولكنه يتعلم ويستوعب بسرعة ، وكانت هذه هى المرة الثانية أو الثالثة لاستخدام هذا المنشار فى تشذيب الأشجار وقطع الصغير منها ، وكان من الأخطار المروعة لهذا المنشار هو استخدامه لقطع الأشجار الكبيرة ، فى غير ما صمم من أجله ، إذ إنه إذا اصطدم بطبقة صلبة من الخشب وبزاوية حادة ، فإنه يرتد فجأة وبعنف ، حيث تدفعه القوة المركزية الطاردة التى يولدها النصل الدوار ، فى شكل قوس كبير ناحية اليمين .

وحوالى الثانية من بعد الظهر ، كان ستيف يعمل خلف جورج فى الجانب الأيسرالمفروض أنه مأمون ، وانحنى ليلتقط بعض الأغصان المقطوعة ، ولم يلاحظ أن جورج كان يلاقى بعض الصعوبة فى قطع جذع شجرة يكاد يلتصق بالأرض وأنه قلب المنشار كى يتسنى له استخدامه من زاوية أفضل ، وبدأ النصل الدوار يشق الخشب ، ثم توقف عند مكان صلب ، وانزلق عن الجذع ، ومرتدًا فى

شكل قوس كبير ، ولكن فى هذه المرة ناحية اليسار ، بسبب وضعه المقلوب .

أدرك ستيف أن سلاح المنشار يتجه نحوه ، فرفع ذراعه اليمنى بحركة غريزية ليحمى رأسه ، وإذا بالنصل الدوار يخترق جانب صدره تحت إبطه مباشرة ، ويشق قفص صدره ، وينشر ضلوعه ، ويغوص حتى رئتيه .

لم يشعر ستيف بأى صدمة أو ألم ، وإنما أحس فقط بسكين ساخن يخترق جلده ، وبدأت الدماء تنزف بغزارة ، وتبلل جنبه ، ولم يحاول النظر إلى أسفل ، ولكنه تأكد أن النصل قد اخترق جسده إلى أبعد مدى ، وحتى منتصف صدره تقريبًا ، إلا أنه ظل متنبهًا لما يدور حوله .

شحب وجه جورج ، وألقى بالمنشار بعيدًا ، وهرع إلى جهاز الراديو على الموجه القصيرة فى الشاحنة الصغيرة ، وخاطب مجموعة أخرى قريبة تعمل فى قطع الأشجار ، وطلب النجدة ، وسيارة الإسعاف ، ثم ركض نحو ستيف حيث كان الجرح الغائر تتدفق منه الدماء بغزارة ، والعظام عارية والأنسجة مكشوفة ، فانهار إلى جواره فى رعب .

وجد ستيف نفسه يواجه الموقف وحده ، وكان لابد من وقف النزيف ، وحاول أن يتذكر نقاط الضغط الرئيسية الست التى تلقاها فى محاضرات الإسعافات الأولية ، ولم يكن يعرف أيها لوقف هذا النزيف ، فوضع يده بشدة على فوهة الجرح ، فى محاولة لوقف تدفق الدم .

كان مراقب العمال جيم بابكوك Jim Babcoc على بعد تسعة كيلومترات ، أسفل الخط الكهربائى ، فانطلق بسيارته نحو الموقع بسرعة ، وعندما وصل كان المكان ملوثًا بالدماء فى كل مكان ، وكان جورج ما زال تحت تأثير الصدمة ويحوم حول ستيف ، وظن جيم لأول وهلة أن يد ستيف اليسرى قد قطعت ، ثم أدرك أنها مدفونة تحت إبطة لسد فتحه الجرح فى جانب صدره ، وأعلن جيم بصوت حاد أنه لم يحدث أن مات أحد فى فريقه ، وسوف ينتهى كل شىء بسلام ، وانتزع حبلاً ولفه حول كف ستيف وجسده لزيادة الضغط وقفل الجرح تمامًا .

اطمأن جيم إلى أن النزف الخارجى قد توقف على الأقل ، واتصل لاسلكيًا بمقر المؤسسة الرئيسى فى مدينة



انقذف المنشار الدوار ناحية اليسار، واخترق السلاح الرهيب جانب صدر ستيف وغاص فيه

فلاجستاف Flagstaff ، طالبًا إرسال طائرة هليكوبتر طبية ، وكان أقرب طائرة متاحة لهذا الغرض فى مدينة فونيكس Phoenix فى جنوب الولاية ، وكان الطيار ديوك مور Duke Moore وطبيب الطوارئ مايك ماك آرثر Mike Mac Arthur على أهبة الاستعداد ، فانطلقا فى الحال نحو الموقع فى شمال الولاية .

أخذ جيم يحث ستيف على التمسك بالحياة ، من أجل أطفاله الأربعة الصغار ، حيث كان ستيف يردد تساؤلات متكررة عن مصير الأطفال إذا مات ، واتخذ جيم من هذا الأمر حافزًا جديدًا ، وقال له : « إن عدم موتك يتوقف عليك وحدك ، ولا يليق بك أن تتخلى عن هؤلاء الصغار ! » وشد ذلك من عزم ستيف ، ولكن هذا لم يمنع أعراض الصدمة من التسلل إلى جسمه كالعدو الصامت ، حيث تقاطرت على جبينه حبيبات العرق ، وبدأت أسنانه تصطك وشحب وجهه وكست عينيه غشاوة زجاجية ، وأخذ جيم يصيح فيه ويحثه على الصمود فى تحد ، إلى أن وصلت طائرة الهليكوبتر .

كانت الرياح تهب بسرعة مائة كيلومتر فى الساعة ، وحاول الطيار أن يتحاشى أبراج خطوط الكهرباء ذات

الضغط العالى الذى يصل إلى 260 ألف فولت ، وأخذ يحوم ليلقى نظرة على التضاريس فى الموقع ، وكان المكان مغطى بالأشجار والآجام الكثيفة ، ولاحظ أن هناك منطقة خالية من الطريق ، ولكن تحف بها الأسلاك من الجانبين .

هبط الطيار ببطء فى وضع مواز لخطوط الأسلاك ، ثم اهتدى إلى متسع مكشوف بين بضعة أشجار متباعدة تحت الأسلاك مباشرة ، وأبقى الطائرة محلقة ، بينما قفز الطبيب إلى الأرض ، ليراقب المسافة الفاصلة بين مروحة الذيل والأسلاك ، وعندما أشار إليه هبط بالطائرة ودلف بها تحت الأسلاك ثم توقف على مسافة 50 مترًا من مكان ستيف .

هرع الطبيب إلى ستيف ، وبعد أن ألقى نظرة سريعة على الجرح ، تعاون الجميع على نقل ستيف إلى الطائرة ، حيث ارتفع بها الطيار قليلاً ، وخرج من تحت الأسلاك وارتفع عاليًا نحو مستشفى فلاجستاف وسط الولاية ، وكان فريق الأطباء على أهبة الاستعداد ، وتوقفت حركة المرور فى الشارع المجاور لهبوط الطائرة .

حاول الدكتور هيلد براند Held Briand عبثًا رفع يد ستيف عن الجرح ، وبعد حقنة مخدرة ، أخذت أعصاب ستيف فى الاسترخاء قليلاً ، وعندئذ أمكن إخراج يد ستيف من الجرح ، وتبين أن المنشار اخترق ثلاثة أضلاع ، والنصف الأسفل من رئته اليمنى ، وتوقف على مسافة 2.5 سنتيمتر فقط من قلبه ، وكان الجرح مليئًا بنشارة الخشب وأشواك الصنوبر من قفاز ستيف ، وقام الأطباء بغسل الجرح بمحلول ملحى ، قبل إجراء العملية الجراحية ، وغلق الجرح .

حدث المعجزة ببطء خلال الأيام التالية ، حيث تحسنت حالة ستيف ، وخرج من وحدة العناية المركزة بعد أسبوع فقط ، وغادر المستشفى بعد عشرة أيام أخرى ، ثم عاد إلى عمله قبل انقضاء أربعة أشهر ، دون أن يترك الحادث أى أثر عليه ، ويقول الدكتور هيلد إن ضغط يده أغلق الأوعية الدموية المقطوعة تمامًا ، وهكذا فإن ستيف قد أنقذ حياته بيده ، ولكن ستيف يعزو نجاته إلى عناية الله ومشيئته .

بتصرف عن المصدر :

U.S News and World Report, by Stanley Engelbert,dated May 1976 .
Washington D.c, U.S.A.

١٦ ـ أشرفت الأسرة على الغرق ..

[بقلم : بريان ديفيز]

كنت أفضل أن أقضى يوم إجازة الكريسماس Christmas فى المنزل ، ولولا ابنتى الصغيرة لما كنا ذهبنا إلى الشاطئ فى مثل هذا اليوم من شهر ديسمبر عام 1976 ، وكان بالفعل يومًا حارًا بدون رياح تذكر فى أستراليا ، حيث ينعم نصف الكرة الجنوبية بصيف دافئ ، بينما يعانى النصف الشمالى البرد والعواصف الثلجية من القطب الشمالى خلال الشتاء ، ومع ذلك قررت أن أصطحب ابنتى سارة Sarah ، التى تبلغ من العمر أربعة أعوام ، إلى حمام السباحة القريب ، ورفض أولادى الصبيان بن Ben – 15 سنة ، ولوك Luke – 14 سنة ، وفيليكس Felix – 12 سنة دعوتى لاصطحابهم ، برغم أنهم يحبون السباحة ، ولكن اصطحاب أخت صغيرة ، ورجل عجوز مثلى ، لايعد رحلة ترفيهية بأى حال .

وعندما وجدت حمام السباحة القريب مغلقًا ، عدت إلى المنزل مصطحبًا سارة ، وقد بدا عليها خيبة الأمل العارمة ،

وفى هذه اللحظة قررت الذهاب إلى شاطئ مونا فال Mona Vale الذى يبعد حوالى 13 كيلومترًا عن مدينة سيدنى Sydney جنوب شرق أستراليا ، كما قررت اصطحاب هؤلاء الأولاد الكسالى ، الذين يفضلون الجلوس أمام التليفزيون بالساعات ، دون تحريك عضلاتهم الرخوة فى الإجازات ، وللأمانة فقد كنت أريد أن أمارس سلطاتى الأبوية التى كنت قد فقدتها منذ أن شب الأولاد .

انطلقت الأسرة كلها نحو الشاطئ ، بينما جلست زوجتى جوان Joan أمام عجلة القيادة ، وكنت أنا بجانبها ، بينما جلس الأولاد فى المقاعد الخلفية . وكانت زوجتى سعيدة للغاية ، كى تشاهد سارة وهى تقذف بالمياه التى تحبها وتجمع القواقع ، وتبنى قصورًا من الرمال .

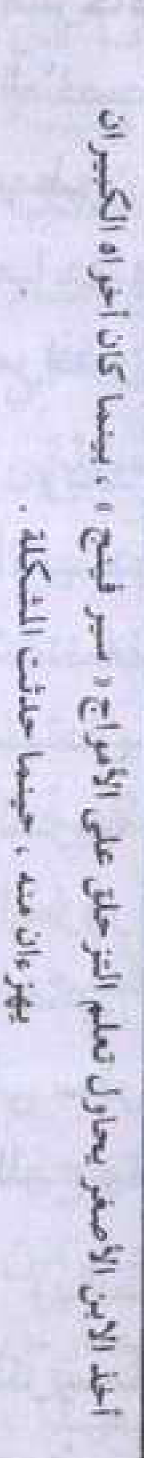
عندما وصلنا إلى الشاطئ حوالى السادسة والنصف مساءً ، لم نجد هناك إلا قلة من الناس ، أغلبهم من الشباب ، وكان البعض يسبح ، والبعض الآخر يمارس رياضة التزحلق على الأمواج المتكسرة Surf بعيدًا ، ولكنى لم أر أحدًا من حراس الشاطئ ، أو المكلفين بالإنقاذ Life - Guard ، واستلقت زوجتى على الرمال فى

استرخاء ، واصطحبت زوجتى سارة إلى الأحواض الصغيرة المخصصة للأطفال ، بينما جلس الأولاد الثلاثة وهم يمطون شفاههم من القهر ، وينظرون باشمئزاز لكل ماحولهم ، ثم ذهبوا بعيدًا عنا حتى لايبدوا وكأنهم مرافقون لأبويهم !

وبعد فترة قرر الأولاد النزول إلى الماء ، فحذرتهم ألا يبتعدوا كثيرًا ، وأن يسبحوا بين الأعلام المثبتة التى تحدد مناطق السباحة ، وكنت أعرف أن بن ولوك سباحان ماهران ، ولكن فيليكس فى حاجة إلى مزيد من التدريب ، ولذلك اصطحب لوح التزحلق للتشبث به عند الضرورة ، بينما قرر الأخوان الأكبران أن اللوح Board الخشبى لايليق بالكبار ، وجلسا على الشاطئ يراقبان فى سخرية أخاهما الأصغر ، وهو يحاول الصعود فوق اللوح والسقوط من فوقه كلما جاءت موجة كبيرة .

وبالنسبة لى فقد كان هذا يعد مثاليًا لإنهاء يوم الكريسماس ، حيث أخذت سارة تجدف فى سعادة فى حوض الأطفال ، لاحظت بجوارنا رجلين فى سنى ، وسيدتين فى الأربعينيات ، ومعهما أطفالهما الأربعة ،





أخذ الابن الأصغر يحاول تعلم التزحلق على الأمواج ، سرفنج ، بينما كان أخواه الكبيران يهزءان منه ، حينما حدثت المشكلة .

الذين يتراوح سنهم ما بين الثامنة والثانية عشرة ، حيث كانوا يلعبون فى المياه القريبة من الشاطئ .

تركت سارة مع والدتها للتزحلق على الأمواج مرة أخيرة قبل العودة إلى المنزل . ولكنى شاهدت بعد الحاجز الأول بعض الرءوس التى تطفو فوق سطح الماء . وتأكدت أنهم الأسرتان اللتان بجوارنا وأطفالهم الأربعة ، وكانوا يحاولون الاقتراب من بعضهم فى حذر ، ولكن فجأة انتابنى الخوف ، ولم أكن أعرف إن كانوا يواجهون المتاعب أم لا ، وانطلقت باللوح الخشبى نحوهم ، وتأكد لى أنهم ينجرفون بعيدًا عن الشاطئ ، وشاهدت علامات القلق على وجوههم ، وحركات أجسامهم المضطربة فى الماء ، وصحت فيهم بأعلى صوتى « هل أنتم بخير ؟ » وجاءت الإجابة بالنفى ، برغم أن الرجلين والأولاد الصغار يجدفون بقوة ويأس .

توجهت نحوهم ، ولكن كيف يمكننى إحضار رجلين وأربعة أطفال إلى الشاطئ ، ولكنى لم أستطع الإمساك

بأى من الأطفال الصغار لارتفاع الأمواج ، وعدت بسرعة إلى الشاطئ لإحضار النجدة .

اندفع فيليكس وقد أدرك المأساة بلوح التزحلق نحو الأسرة المكافحة داخل الماء ، كما اندفع ابناى الآخران يسبحان فى نفس الاتجاه ، بينما أخذت أعدو وأصيح لإحضار كل من على الشاطئ بقواربهم البلاستيكية وألواحهم للإسهام فى إنقاذ الأسرة من الغرق ، ويبدو أن نهاية يومى سوف تتخذ شكلاً مميزًا .

بدأت أشعر بالقلق على أولادى الثلاثة وهم داخل البحر ، يظهرون ويختفون بين الأمواج ، وأخذ كل منهم يسحب طفلاً نحو الشاطئ ، ثم يعود مرة أخرى سباحة ، وخلال لحظات امتلأ المكان بالمزيد من الألواح الخشبية وقوارب التزحلق البلاستيكية ، وأخذ أحد الرجلين يصيح طالبًا النجدة وقد أوشك على الغرق .

لم أشعر من قبل بأنى عاجز ولا فائدة ترجى منى ، كما شعرت فى ذلك اليوم ، كان الأولاد يكافحون بين الأمواج

الصاخبة ، وأنا أراقبهم على الشاطئ وقلبى يخفق بشدة ، بل كادت دموعى تنهمر خوفًا على الأولاد ، وهم يروحون ويغدون بين الشاطئ والأمواج العاتية .

خلال دقائق كانت عملية الإنقاذ قد تمت ، ووصل الأطفال الصغار وأبواهم إلى الشاطئ ، وأخيرًا عاد أولادى سباحة وقد هدهم المجهود الذى بذلوه واستلقوا على الرمال مجهدين ، ولم يتحدث أحد منا على الإطلاق ، ولا الأسرتان اللتان واجهتا المحنة .

وبعد قليل جلس الأولاد فى السيارة ، واتجهنا إلى طريق العودة نحو المنزل ، وخلال الطريق بدأنا الحديث ، ثم ارتفعت الضحكات ، وساد المرح والألفة جو السيارة ، وهو شىء مختلف تمامًا عما كنا فى طريق الذهاب .

تأكد لى يقينًا ذلك المساء أن تنشئتى لأولادى قد أثمرت فى النهاية عن رجال طيبين يعرفون حقًا حجم المسئوليات ، ودورهم فى الحياة ، فلقد انطلق الثلاثة ، دون توجيه منى ، لمساعدة الآخرين فى الحال ، وبمحض

إرادتهم واختيارهم ومن داخل أعماقهم ، وأنهم بالفعل يتمتعون بالشجاعة الكافية والإقدام والاعتماد على النفس ، مما قد يشير إلى مستقبلهم العريض والناجح فى مسار حياتهم مستقبلاً ، وشعرت بالرضا والشكر للـه لهذا التوفيق ، وشاركتنى زوجتى فى هذا الشعور .



بتصرف عن المصدر :

Gourmet Magazine, by Brian Davies, dated June 1977.

777 Third Avenue, New york, N.y., U.S.A.







هذا الكتاب يتعرض للأحداث التى على وشك الوقوع ، وهى لحظة قد تستغرق ثوانى فاصلة أو ساعات حرجة . بين الحياة والموت ، أو البقاء والفناء .

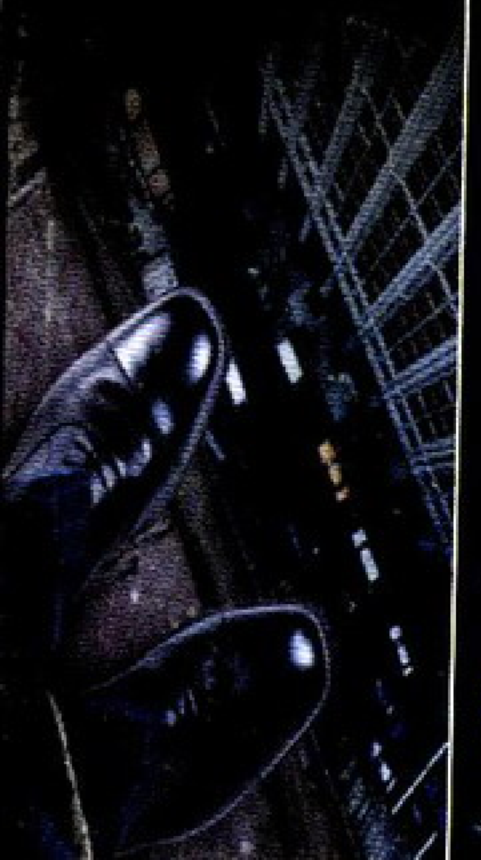
لم تقع هذه الأحداث بطريق الصدفة ، أو القضاء والقدر الذى لا يد لنا فيه ، ولكنها وقعت بسبب سوء الفهم وسوء التقدير وسوء الإدراك . أى أن المرء ذاته هو الذى وضع نفسه فى هذا المأزق . نتيجة منطقه فى تناول الأمور ، وأسلوبه فى الحياة .

ومهما يكن من أمر فعليه الاعتماد على خبراته السابقة ، ومعلوماته الصحيحة ، وثقافته العامة التى اكتسبها للخروج من هذا المأزق . لذلك لابد من التفكير السريع والتحرك الفورى ، دون تردد أو تهيب ، برغم الخوف الذى ينتابه . وقد يقتضى الأمر قدرا كبيرا من التماسك والإقدام والمثابرة ، من أجل الحفاظ على الحياة .

وجميع هذه الأحداث وقائع صادقة . حدثت بالفعل ، وتطلعنا على تجارب الآخرين الصعبة فى مواجهة الحياة . حتى يمكننا التصرف إذا ما صادفنا موقف مشابه .

حدث بالفعل

وقائع حقيقية
وأحداث غريبة
ليس لها أى تفسير على الإطلاق







الثمن فى مصر ٣٠٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم